ناجي علوش

عودة الى موضوعات الثورة العربية

دار الكاتب - بَيروت

عودة الى
موضوعات الثورة العربية

ناجي علوش

عودة إلى موضوعات الثورة العربية

دار الكاتب - بَيروت

الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى ـ حزيران ١٩٧٨

مقدمة

يتناول هذا الكتاب عددا من القضايا الهامة ، التي يثور حولها الجدل عبر المسيرة الراهنة للثورة العربية ... ومن هذه القضايا : قضية الجبهة القومية المتحدة وحرب الشعب والتسوية وموضوعات الثورة العربية الاخرى مثل : طبيعة الصراع ضد العدو الصهيوني ، والعلاقة بين قضية التجزئة والتخلف من جهة والتبعية للامبريالية من جهة أخرى ...

واذا كانت فصول الكتاب تمثل تناولا من جوانب مختلفة لهذه القضايا ، فان الفصل الاخير : عودة الى موضوعات الثورة العربية ، يمثل بلورة وتلخيصا وتكثيفا لكل هذه الموضوعات . ولذلك سميناه الكتاب باسمه .

والكتاب بعد ذلك استمرار للكتابين الاخيرين اللذين أصدرتهما : وهما « خط النضال والقتال وخط التسوية والتصفية » و « حول الحرب الاهلية اللبنانية » .

واذا كانت هذه الفصول ، ما عدا الاول منها ، قد نشرت ، فاننا نعيد نشرها هنا ، لان المجلات التي نشرت فيها ، تصل الى عدد محدود من القراء ، بسبب اشكالات التوزيع في الوطن العربي . ثم لاننا نرى ان القضايا التي يعالجها الكتاب قضايا ما زالت موضوع مناقشة وجدل وخلاف ، ولذلك فان تأكيد وجهة نظر أو دحض أخرى ما زال ضروريا وهاما .

ونحن نطمح من خوض هذا الصراع الى تأكيد عدد من القضايا الهامة :

اولها : وحدة الامـــة العربيـــة ، وبالتالـــي وحـــدة قضيتها ، على الرغم من وجود التجزئة وتنوع الاشكالات.

ثانيها : أن قضية تحرير فلسطين جـــزء مـــن قضايا الثورة العربية . ونحن هنا نطمح لان نضعها في مكانهـــا الحقيقي من حركة الثورة العربية .

ثالثها : أن القضية الرئيسية هي قضية الصراع مع الامبريالية عامة ، والامبريالية الاميركية خاصة ، وركيزتيها في الوطن العربي : الكيان الصهيوني والرجعية العربية .

رابعها : أن طبيعة الثورة في المرحلة الحالية والمقبلة قومية ديمقراطية شعبية ، ولذلك لا بد من قـــيام الجبهـــة القومية المتحدة: جبهة القوى القومية الثورية والديمقراطية كلهـــا .

اننا نرى ضرورة التأكيد على هذه القضايا وبلورتها ، ودحض نقائضها : مثل موضوعات دعاة التجزئة ، الذين يرون في الوطن العربي أوطانا وأمما ، وموضوعات الذين يعملون لتحرير فلسطين ضمن الواقع الرسمـــي العربي ، ودعاة كل وجهات النظر الضيقة والمتخلفة والطفولية ...

ولهذا ننشر هـــذا الكتاب ...

ونحن نعلم أن قضية توزيعه ستبقى خاضعة لقوانين السوق العربية ، وبالتالي أنه لن يصل الى كل الذين يودون قراءته ، شأنه شأن كل الكتب العربية . ولكن ما العمل ؟ ليس هناك طريق غير طريـــق النضـــال ضـــد القمـــع ، والاجراءات المتخلفة الرجعية ، والسياسة الرجعية الرامية الى زيادة أسوار العزلة بين أقطار الوطن الواحد ...

ناجـــي علـــوش

الجبهة القومية المتحدة

(ملاحظات حول قضايا الجبهة أعـدت في اوائل صيف سنة ١٩٧٤ ولم تنشر)

موضوعات وملاحظات وتوجهات

١ ــ مدخل : حول الجبهة القومية المتحدة :

تزداد اهمية قضية الجبهة القومية المتحده في هـذه الايام . ويعود ذلك الى الاسباب التالية :

١ ــ لان وحدة اوسع القطاعـات الجماهيريـة ، ورص صفوفها ، ضمانة اساسية من ضمانـات النصر . لا نصر بدونها ، ولا قدرة على مواجهة العدو وسحقه الا بها .

٢ ــ لان اتساع نطاق المؤامرات على قضيتنا وشعبنـا ، وتنوع المحاولات والمناورات لشق صفوفه وتمزيق وحدتـه تزيد ضرورة الالتحام بين القوى الوطنية ، وتؤكـد اهمية وحدتهـا .

٣ ــ لان عقلية التشرذم والتسلط التي سادت خلال العقود الماضية ، وخاصة خلال العقود الثلاثة الاخيرة ، بين القوى

الوطنية ، حالت دون قيام جبهات وطنية قادره على تحمل اعباء العمل الوطني ، ولذلك لم تترسخ تقاليد العمل الجبهوي بعد ، وظلت المحاولات التي تمت في السنوات الماضية محاولات قاصرة وقليلة الفعالية على اهميتها وقيمتها . وهذه العقلية ما زالت تمارس تأثيراتها السلبية في حياتنا الوطنية ، في وقت نحن أشد ما نكون حاجة الى الوحدة والتلاحم . (تراجع اسباب ذلك في فقرة اخرى) .

٤ — ولان مواجهة عدو شرس مسلح جيدا ، ويملك امكانيات مادية هائلة ، يحتاج فيما يحتاج اليه ، الى وحده أوسع القوى الوطنية لمواجهته .

لهذا كله فنحن مدعوون الى مناقشة موضوعات الجبهة القومية المتحدة واهدافها واطرافها واساليبها ، حتى تنجلي حقائق كثيرة لا بد من ان تنجلي . وليكون جلاؤها دليلا لنا في نضالنا يرسم لنا سواء السبيل ، ويكشف المزالق والمنعطفات الخطرة .

وقبل أن نخوض في موضوع الجبهة لا بد لنا من ان نشير الى ان هنالك عاملين اساسيين ، من بين عوامل اخرى ، يتحكمان بسياسة بناء الجبهات القومية المتحدة :

الاول : ينطلق من ان وحدة اوسع القوى ضروري لهزيمة عدو خارجي معتد محتل ، او عدو داخلي باغ وعميل ، او الاثنين معا .

الثاني : ان هذه الوحدة تقوم على التحالف والتناقض في الوقت عينه .

وهذا يعني ان وجود عـــدو رئيســـي ، في مرحلـــة تاريخية معينة ، يقتضي حشد اوسع القوى ذات المصلحة للمواجهة . وهذا يجعل معادلة الصراع كما يلي :

عدو رئيسي : اتحـــاد القـــوى ذات المصلحة في مواجهته .

يعني : تحالف طبقات مختلفة وايديولوجيات مختلفة تجمعها مصالح محددة في مرحلة تاريخية محدده .

وهذا يعني ايضا : ان التناقضات بين هذه الطبقات والفئات تصبح ثانوية . ولكن هذا التحالف لا ينهي التناقض بين المتحالفين ، انما يجعله ثانويا فقط ، وفي المرحلة المعنية والمحددة فحسب ، وضمن اطار التحالف لخدمة القضيـــة الرئيسية . وهذا يتضمن :

اولا : اتحاد اكثر من طرف حول اهـــداف سياســـية محددة .

ثانيا : ان هذا الاتحاد لا يمنع التناقض ، ولكنه يجعله تناقضا غير عدائي في مرحلة تاريخية محددة .

ثالثا : ان هذا اللقاء يستلـــزم قـــدرا مـــن اعتراف الاطراف المتحالفة بعضها ببعضها الاخـــر ، وقـــدرا مـــن الممارسة الديمقراطية التي تتيح لجميع الاطراف المشاركة في الجبهة حرية العمل والمناقشة والنقد الخ ...

رابعا : ان المناقشة والنقد يجب ان يبقيا ضمن اطار الوحدة ، والا يحولا العلاقة بين الاطراف المتحالفة الى صراع عدائي .

خامسا : ان اي طرف يجنح الى الخروج على خط الوحدة والبرنامج المشترك بوسائل غير ديمقراطية لا بد من ان يحذر ، ثم يردع بالوسائل الملائمة .

ويتدرج الردع من استخدام الضغوط السياسية المختلفة التي تبدأ بالحوار اولا ، ثم النقد ، ثم تعريف الجماهير بخطر الخروج وتعبئة الجماهير ضد هذا الخروج. ولا يستخدم في الردع السلاح الا اذا استخدم الطرف الخارج على الوحدة السلاح ، وحين يستحيل حل الاشكالات بالطرق الديمقراطية .

ويحدد مدى اتساع الجبهة او ضيقها عاده طبيعة العدو الخارجي والقوى ذات المصلحة في محاربته ، والاساليب التي يتبعها هذا العدو لمواجهة القوى ذات المصلحة في محاربته . فاذا كان العدو الخارجي ماهرا ، وقدم تنازلات ملموسة لطبقة او فئات من اكثر من طبقة ، يستطيع ان يسلخ هذه الطبقة او هذه الفئات عن الجبهة . واذا لم يقدم التنازلات المناسبة دفع اوسع الطبقات لمحاربته . كما ان وحدة اوسع الطبقات والفئات لمواجهة عدو خارجي تعتمد على السياسة التي تنتهجها القوى القومية والثورية والديمقراطية ، ومدى قدرتها على تعبئة الجماهير بالروح الوطنية المعادية للاحتلال الخارجي،

ومدى براعتها في كسب الطبقات او الفئات التي يمكن ان تنسلخ عن الجبهة ، اذا قدمت لها القوى المعادية تنازلات ملموسة . ويلزمها ان تنتهج في ذلك سياسة تعمل من أجل تنظيم قوى مقاتلة ، وتعبئة قوى سياسية قادرة على دفع القوى المتذبذبة باتجاه مقاتلة العدو ، أو عدم المصالحة معه على الاقل . وهي مطالبة من جهة أخرى أن تنتهج سياسة جبهوية سليمة توحد أوسع القوى .

ولكن هذا كله يجب ان يأخذ بعين الاعتبار طبيعة المعركة التي تخوضها القوى المتحالفة ، أهي جبهة وطنية ضد عدو محتل او حرب اهلية داخلية : أو هي الاثنتان معا .

فاذا كانت حربا وطنية ضد عدو محتل ، كان بالامكان توحيد اوسع الجماهير والطبقات والشرائح الاجتماعية ، واذا كانت حربا أهلية داخلية بين البروليتارية وحلفائها والبرجوازية وحلفائها اتحدت جبهة البروليتاريا وحلفائها ضد جبهة البرجوازيه . واذا كانت حربا ضد عملاء طغاه وقوات احتلال اجنبية امكن توحيد جبهة شعبية واسعة ضدهم .

وعلى القوى ذات العلاقة ان تحدد معركتها منذ البدء .

وفي حالة وجود عدو خارجي ، محتل اجنبي ، على البروليتاريا وحلفائها أن يختاروا طريق الجبهة القومية المتحدة ، وان يبذلوا كل الجهود لتوحيد كل القوى المعادية للاحتلال الخارجي ، واذا كانت المعركة ضد عملاء طغاه كان الواجب أن تتحد كل طبقات الشعب المضطهدة والمسحوقة وفئاته ضدهم .

٢ ــ طبيعة المعركة على الصعيد الفلسطيني :

ما هي طبيعة المعركة اذن على الصعيد الفلسطيني؟

انها معركة الشعب الفلسطيني بكل طبقاته وفئاته ضد الاحتلال الصهيوني والولايات المتحده الاميركية العاملة على ضمان امن الاحتلال وتفوقه العسكري . لان لكل طبقات الشعب الفلسطيني وفئاته مصلحة بعوده ارض الوطن واندحار العدو الصهيوني ، وان لم تكن كلها مستعده للعمل والتضحية من اجل العودة بنفس المقدار .

ولذلك فهذه المعركة معركة وطنية ، وليست حربا اهلية داخلية . انها المعركة التي يجب ان يخوضها شعبنا كله ضد المحتلين الصهيونيين وسندهم الاساسي : الولايات المتحدة الاميركية .

ان طبيعة هذه المعركة تستلزم قيام جبهة وطنية متحدة تضم كل قوى الشعب ، المعادية للاحتلال الصهيوني بأي شكل من الاشكال ، الملتزمة والمؤيده لسياسة تحرير ارض الوطن كاملة من الاحتلال الصهيوني .

وهذا يعني ان قوى شعبنا كلها يجب ان تتحد في جبهة متراصة لمحاربة العدو ، ما عدا العملاء المباشرين للاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية . ويجب أن يكون واضحا أن هذا يتضمن أمرين :

اولهما : ان هذه الجبهة المتراصة لا تنهي الخلافات الايديولوجية ، ولا تقفز فوق الخلافات السياسية .

فستبقى هناك ايديولوجيات مختلفة ، وسياسات مختلفة واحزاب وتنظيمات مختلفة ، اي ان هذه السياسة الجبهوية **ليست سياسة الحزب الواحد** ، ولا سياسة حل التنظيمات في تنظيم واحد . لانها سياسة الجبهة المتحالفة، التي تضم كل القوى المعادية للاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية .

ثانيهما : ان الصراع ضمن هذه الجبهة يبقى قائما ولكنه يأخذ اشكالا اخرى . لنقل انه يصبح صراعا ضمن اطار ديمقراطي . فالجميع ملزمون بتنفيذ سياسة الجبهة وبرنامجها والخضوع لاطرها التنظيمية . ولكن لهم الحق في العمل والمناقشة والنقد وايضاح مواقفهم ونشر صحفهم الخ ...

وعليهم ان يحرصوا دائما ان تكون المناقشة موضوعية ، وان يكون النقد رزينا وصادقا ، حتى يستطيعوا ان يتجنبوا المهاترات ويحافظوا على الجبهة . ان المسألة الرئيسية ستبقى مسألة المحافظة على الجبهة وتوطيدها وتطويرها .

ولذلك فان اي تركيز على نقاط الخلاف بما يدفع نحو شق الجبهة ، يخدم العدو ، ولا يخدم القوى الوطنية . كما ان اي تركيز ضيق الافق على خدمة حزب من احزاب الجبهة او تيار من تياراتها ، يقود الى شقها ، وبالتالي فهو يخدم سياسة العدو .

فاذا عدنا الى الساحة الفلسطينية الان ، وناقشنا وضعها القائم فما الذي نجده ؟

اننا نجد الاتجاهات التالية :

اولها : الاتجاه الـذي يريدهـا جبهة بلا منظمات ، وبالتالي فهو يتذمر من تعـدد المنظمات ، ومن اختـلاف نشاطاتها ، ويميل الى صيغة اتحاد قومي فلسطيني .

ثانيها : الاتجاه اليسـاري الذي يتحـدث عن الجبهة ولكنه يمارس سياسة « اسقاط » القوى المتحالفة معـه ايديولوجيا وسياسيا . ولذلك فهو يلجأ نظريا الى تسخيف فكرة الجبهة والاستهتار بها ، ويلجأ عمليا الى عرقلة عملية التحالف الجبهوي ، من خلال المحاكمات النظرية الطفولية ، او الممارسات العملية المغامرة والاستعلائية وضيقة الافق .

ثالثها : الاتجـاه الـذي يسعـى الى لملمـة مـا هو قائم بعجره وبجره ، على اعتبار انه واقع لا وسيلـة لتغييره ...

ولذلك تقوم الان جبهة وطنية فلسطينية باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، تعتبر اطار العمل الفلسطيني ، ولكن هذا الاطار لم يستطع حتى الان ان يحشد كل القوى الوطنية الفلسطينية في جبهة متراصة ، قائمة على القناعة الحقـة بضرورة التحالف واهميته . ولقد نتج عن ذلك بروز المظاهر التاليـة :

اولا : حالة من التفكك ، التي تقود الـى التضارب ، والى التقاتل احيانا ، والتي تضعف القوى المتحالفة، وتختزل

قسما كبيرا من قواها في المناقشة المظهرية والمناورة الداخلية والدعاوة المضادة المتبادلة .

ثانيا : حالة من الفوضى السياسية التي تتمثل بالمواقف السياسية المتعارضة ، واثارة البلبلة السياسية .

ثالثا : حالة من الاستعلاء على الجماهير ، وعلى قطاعات من القوى ذات المصلحة في الانتماء الى الجبهة ، من خلال الجزم بعدم قدرتها على القيام بدور وطني ، او اتهامها بالرجعية والسقوط الخ ...

ان هذه الحالات ، ليست صحية . انها تضعف الجبهة الوطنية المتحالفة ، وتحرمها من قوى وجماهير ذات طاقات هامة وكبيرة .

ويلعب العدو وعملاؤه على مثل هذه الظواهر ، محاولين الاستفادة منها الى ابعد الحدود .

اما اليسار الطفولي والانتهازي والاصلاحي واليمين الرجعي والمتخلف والمتعنت ، فيعملان على الاستفادة من ظواهر كهذه لزيادة التناقضات ولخلق المزيد من الفوضى .

ان ما يجب ان يعيه كل الوطنيين والشرفاء في الساحة الفلسطينية هو :

اولا : ان الجبهة الوطنية المتحدة ضد العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية وعملائها ليست سياسة مؤقتة او

تحالفا عابرا ، انها قضية مبدئية ثورية ، وهي مهمة رئيسية في معركة التحرر الوطني القومية الديمقراطية الشعبية .

ثانيا : ان الثوريين الحقيقيين هم الذين يعملون لتحقيق هذه الجبهة الواسعة العريضة ، وهم القـــادرون على أن يوحدوا اوسع القوى لمواجهة العدو الرئيسي وحلفائـــه وعملائـــه .

ثالثا : ان الذين يشقون الصفوف وراء شعـــارات براقة ، لا يخدمون الا العدو ، وان جدية الشعارات التي يرفعها اي طرف ، مرهونة بمدى الالتزام بهذه الجبهـــة والنضال من اجل اهدافها لا بأية اعتبارات اخرى .

رابعا : ان من أهم مهماتـنا الان أن نوطـد الجبهة الوطنية الفلسطينية وان نوسعها ، لنحشد وراءها كل قوى شعبنا الملتزمة ببرنامج تحرير الوطن بأي شكل من الاشكال. وهذا يقتضي ان نحارب النزعات الطفولية التي تنتهج سياسة « اسقاط » القوى المتحالفة والاستعلاء عليها ، وسياســة عبادة الذات والاستهانة بالاخرين . كما ان علينا ان نحارب النزعات المتخلفة المتعنتـة التي تسعى لاخضاع الجميـــع لايديولوجيتها وخطها السياسي وأطرها التنظيمية . وذلك في سبيل جبهة وطنية ديمقراطية شعبية تضم كل القـــوى القومية والديمقراطية والثورية ، وتتيح لها مجال ان تتحاور وتعمل وتقاتل ضد العدو الرئيسي على أســاس برنامج محدد ، وضمن أطر تنظيمية متفق عليها .

ملاحظة اخيرة : ان معركة تحرير فلسطين جزء من معركة الجماهير العربية في سبيل تحرير نفسها وتحقيق وحدتها ، اي جزء من مهمات الثورة القومية الديمقراطية الشعبية العربية ، وهذه من الحقائق الهامة التي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار عند أية معالجة للقضية الفلسطينية .

طبيعة المعركة على الصعيد العربي :

وما هي المعركة على الصعيد العربي ؟

انها معركة عربية وطنية ضد الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية وحلفائهما وعملائهما (القوى الرجعية العربية العميلة او المرتبطة) باعتبار هذا الطرف عدوا رئيسيا . وهذا يعني انها معركة كل الطبقات والفئات ذات المصلحة في محاربة العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية وحلفائهما وعملائهما والقوى الرجعية المرتبطة بهما .

وطبيعة هذه المعركة المتمثلة في التناقض الرئيسي بيننا وبين العدو الرئيسي المشار اليه آنفا تستلزم :

١ ــ ان تكون الحرب الوسيلة الوحيدة لحل هذا التناقض .

٢ ــ ان تكون الجبهة القومية المتحدة التي تضم اوسع القوى الجبهة التي تستند اليها الحرب .

ولكن الذي نشاهده ونلمسه يتلخص في ان القوى الوطنية العربية ، ذات المصلحة في محاربة الاحتلال الصهيوني وحلفائه وعملائه ، لم تنتهج سياسة جبهة قومية متحده

واسعة عريضة . وفيما عدا محـــاولات محدوده في بعض الاحيان فقد غلب التخالف على التحالف ، الشقاق عـــلى الاتفاق . ولم تستطع القوى ذات المصلحة في مواجهة العدو الرئيسي من ان تنسق ، مع انها كانت مطالبة بأن تتحد .

ويعود ذلك بالطبع الى المواقف والممارسات التي برزت في سياسة كل القوى الوطنية العربية بشكل او بآخر . ولذلك فاننا نرى ان قضية الجبهة ما زالت لا تحتل مكانها المناسب في مسيرة الحركة الوطنية ، والعوامل التي اشرنا اليها عند الحديث عن الوضع الفلسطيني هي العوامل السائدة فـــي الساحة العربية .

وما ينطبق على المـــوقف من الجبهـــة ينطبق على الموقف من الحرب والقتال . واذا كانت سياسة الجبهـــة لم تنتهج باعتبارها الخط الرئيسي ، فان سياسة الحرب لم تصبح بعد الخط الرئيسي للسياسة العربية .

ولهذا كله ظلت السياسات العربية الوطنية والمخلصة عاجزة وقاصرة أمام التحدي الصهيوني وتحدي الامبريالية الاميركية . وما زالت كذلك ، وستبقى كذلك ، ما لم يصبـــح الخط الرئيسي للقوى ذات المصلحة في محاربة العـــــدو الرئيسي خط الجبهة القومية المتحدة وخط القتال .

ومهمتنا الان ان نناضل لكي ننقل السياسة العربيـــة من وضعها القاصر الى وضعها الفعال ، من خـــلال انتهاج سياسة القتال وسياسة الجبهة القومية المتحدة .

ولكن ما هي أهداف المعركة على الصعيد العربي ؟
ان اهدافها تنحصر في انجاز الثورة القومية الديمقراطية الشعبية والتي تعني :

اولا : انهاء الاحتلال الصهيوني لفلسطين والاراضي العربية المحتلة (الجولان، سيناء ، عربستان، الاسكندرون، سبتة ومليلية . جزر الخليج العربي) .

ثانيا : انهاء مواقع السيطرة الاجنبية في بلادنا ، مباشرة وغير مباشرة .

ثالثا : النضال لتحقيق الوحدة العربية .

رابعا : اسقاط عملاء العدو واسقاط القوى المتخلفة المعادية لمحاربة العدو الرئيسي ولسياسة الجبهة القومية المتحدة ، والقوى الممثلة لبقايا الاقطاع والكمبرادور والحياة العشائرية ، ومخلفات القرون الوسطى ، والمعادية لحركة التقدم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، واقامة السلطة الديمقراطية الشعبية في الوطن العربي .

من هي الاطراف الاساسية في المعركة من اجل الجبهة القومية الديمقراطية الشعبية ؟ انها :

أولا : قوى الثورة الرئيسية : القوى الطليعية من بين العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة وقوى الجماهير الكادحة والوطنية في الوطن العربي . اما الطبقات والفئات ذات المصلحة في الثورة موضوعيا : العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة والشريحة الوطنية من البرجوازية .

الحلفاء : الطبقات والفئات المتحالفة مع القوى الرئيسية على اساس برنامج الجبهة القومية المتحدة او نقاط منه .

ويجب ان يضم هذا التحالف كل قوى الشعب المعادية للعدو الرئيسي ، بما في ذلك الملاك الكبار والتجار ورجال الدين وغيرهم ممن يوافقون على برنامج الجبهة، ويلتزمون بـــه .

ثانيا : العـــدو الاساسي :

١) الاحتلال الصهيوني .
٢) الولايات المتحدة الاميركية .
٣) القوى الرجعية العربية .

الهدف الرئيسي : انهاء العدو الرئيسي ، ويكون العدو الرئيسي في كل مرحلة العدو الصهيوني والقوى والمخططات التي تمثل القوى الرئيسية في الجبهة المضادة لقوى الثـــوره في مرحلة معنية .

الخطـــة والاسلـــوب :

١ ـــ تعبئة قوانا واعدادها لحرب الشعب الطويلة الامد .
٢ ـــ شق صفوف العدو وبث الذعر في صفوفه .
٣ ـــ عزله خارجيا وكسب أوسع الاصدقاء .
٤ ـــ عزل عملائه داخليا .
٥ ـــ مواصلة الحرب الهادفة الى تحطيم قـــوات العـــدو وتحطيم ارادته .

ما الذي يعنيه هذا على الصعيد العربي ؟
انه يعني :

١ ــ ان واجبنا يجب ان يتجه اولا لتحديد خط العمل السياسي والعسكري ، وهو خط الجبهة القومية المتحدة والقتال (حرب الشعب) اساسا .

٢ ــ ان جهدنا الرئيسي يجب ان يتجه نحو بناء القوى المقاتلة ومباشرة القتال فعليا .

٣ ــ ان جهد التعبئة الرئيسي يجب ان يتجه نحو بناء الجبهة القومية ، وعزل عملاء العدو (الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية المرتبطة) ومحاصرتهم وسحقهم وتوطيد العلاقات مع كل القوى الاخرى .

٤ ــ ان تخلف بعض القوى الوطنية او الحليفة او تقصيرها لا يجوز ان يدفعنا الى مهاجمتها بعنف ، وتحويل تناقضنا معها الى تناقض عدائي . بل يجب ان ننتقد بلطف ثم تنبه . ثم تناقش أمام الجماهير لتدفع باتجاه القتال . فاذا تجاوبت توطد العلاقات معها ، واذا لجأت الى اجراءات سلبية ضد القوى الوطنية تتخذ ضدها الاجراءات الملائمة التي قد تصل الى الردع والردع المسلح ، على ان يهدف ذلك الى اعادة هذه القوى الى حظيرة الجبهة وليس الى القطيعة معها .

٥ ــ ان هذا يتطلب :

أ) ان تتسع قاعدة الجبهة الوطنية العريضة باستمرار، وان تصلب وتعبأ تعبئة ثورية .

ب) ان تكسب القوى المتذبذبة ، وان يصلب موقفها .

ج) ان تفتت القوى المعادية ، وان يكسب بعضها او يحيد .

د) ان تضرب اكثر القوى عمالة وخيانة وعداء للشعب بعد عزلها ومحاصرتها .

٦ ــ ان الذين ينضمون الى الجبهة القومية المتحدة من أي طبقة او ايديولوجية او حزب كانوا ، يحفظ لهم مكانهم ودورهم في الجبهة، وتحفظ لهم حقوقهم ومصالحهم وامتيازاتهم (كلها او بعضها) ، أو يعوضون عنها تعويضا عادلا .

٧ ــ ان الذين يتذبذبون لا يعاملون معاملة الاعداء ، ولا يجوز تخوينهم او سد الطريق امام التزامهم بجبهة الشعب، بل يجب ان يناقشوا، وان تخلق الظروف من حولهم لينضموا الى الجبهة القومية المتحدة . وحتى يتم ذلك تناقش مواقفهم وتنتقد ، ويشتد النقد بمقدار ما يتجهون في تذبذبهم نحو الاستسلام للعدو ، ويخف بمقدار ما يتراجعون ، فاذا ما انحازوا للعدو اصبحوا من الاعداء .

٨ ــ ان المقياس لتصنيف القوى العربية وتحديد المواقف منها يجب ان ينطلق من مدى الالتزام بخط الجبهة او القتال عموما ، لا من اي منطلق آخر ، ومن تعامل اية قوى حاكمة مع قوى الجبهة الاخرى . هل تتيح لها الفرصة للعمل ضد العدو او لا تتيح ، هل تسمح لها ببناء ذاتها للمساهمة في العمل الجبهوي والقتال والبناء او لا تسمح ؟

٤ ــ من يقود الجبهة :

تقودها القوى القادرة على قيادتها والتي تثبت ذلك بالممارسة . لان القيادة تؤخذ ولا تعطى ، ويأخذها الذين يثبتون انهم جديرون بها بالممارسة ، والذين يستطيعون

انتزاعها بقوتهم : اي بتضحياتهم وصلابتهم وابداعهم . ولا تأتي القيادة بالشعارات والادعاءات .

والطبقة التي تطمح الى القيادة عليها ان تثبت جدارتها بذلك ، ولن يستطيع منازعتها عندئذ أحد. وعليها أن تنتزع القيادة بالعمل ، لانه ليس هناك طريقة اخرى . والقيادة تكون دائما للقوة التي تثبت :

١ ــ انها ملتزمة بالقضية الوطنية التزاما كاملا .

٢ ــ انها قادرة على تجسيد التزامها بالممارسة اكثر مما يستطيع غيرها .

٣ ــ انها قادرة على كسب تأييد بقية القوى واحترامها واحترام الجماهير وثقتها اكثر مما يستطيع غيرها .

٤ ــ انها قادرة على ممارسة العمل السياسي والعسكري بما يكفل لها تحقيق الانتصارات .

ولا تستطيع القوى التي لا تتوافر لها هذه الشروط ان تقود ، حتى لو كانت القيادة لها من الناحية النظرية والتاريخية كالبروليتاريا .

٥ ــ قضية البرنامج والقوى الثورية داخل الجبهة :

ولكن يبقى هنالك بعض التساؤلات ومنها :

١ ــ هل يعني قيام مثل هذه الجبهة سيطره القوى المعادية ؟

٢ ــ هل يمنع قيام مثل هذه الجبهة تطور النضال المسلح وتصاعده ؟

٣ ــ هل يحول قيام مثل هذه الجبهة دون تطور القوى الاكثر جذرية ، والاكثر استعدادا لانجاز مهمات الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ؟

اننا ندعو الى جبهة مقاتلة ضد العدو الرئيسي ، وهذا يعني ان علينا ايضا ان نعزز دور القوى المناضلة والمقاتلة داخلها باستمرار .

وهذا يعني ايضا ان هذه الجبهة يجب ان تكون قادرة على تطوير الكفاح المسلح وتصعيده دائما . وهذه احدى مهماتها الرئيسية .

أما فيما يتعلق بالقوى الاكثر جذرية في التحالف ، فان الذي سيجعلها اكثر قوة ، ليس الا قدرتها وفعاليتها في الصراع ضد العدو الرئيسي . فاذا ما استطاعت ان تقوم بهذا الدور ، تمكنت من تعزيز دورها في الجبهة . وستبقى تتقدم ما دامت قادرة على ان تلعب دورا اكثر فعالية في الصراع ضد العدو الرئيسي .

وستسقط القوى المتخاذلة ، وتتراجع القوى التي تلعب دورا أقل أهمية في هذا الصراع .

٦ ــ الحركة الوطنية الفلسطينية والعربية :

ان الحركة الوطنية الفلسطينية جزء من الحركة الوطنية العربية وطليعة من طلائعها . ولكن ظروف التجزئة ووجود دول عربية متعددة يخلق واقعا يجب ان يحسب له حسابه . فكيف تتعامل الحركة الوطنية الفلسطينية مع الواقع العربي ؟

هناك اولا القوى الوطنية العربية باختلاف اتجاهاتها، وعلى الحركة الوطنية الفلسطينية آن تسلك معها سلوكا جبهويا يهتدي بالميثاق القومي لمنظمة التحرير ، وان يجري العمل للتوحد معها . ولما كان تحرير الارض هو الهدف والقتال هو الاسلوب وجب أن تتحدد المواقف من كل القوى انطلاقا من هاتين الحقيقتين .

وهناك الانظمة على مختلف اتجاهاتها ومواقفها . وهذه الانظمة يجب آن ينظر اليها على اساس موقفها من قضيتي تحرير الارض والقتال . فيجري التعاون مع الانظمة التي تلتزم بالموقف من تحرير الارض والقتال ، وتنتقد الانظمة التي تتخذ موقفا متذبذبا او قاصرا ، وتهاجم الانظمة التي تعيق مسيرة القتال ، لاي سبب من الاسباب ، ولكن يجب ان يراعى في ذلك كله ما يلي :

اولا : الا تخوض القوى الوطنية الفلسطينية معركة على كل الجبهات في وقت واحد .

ثانيا : ان يفرق دائما بين الوطنيين والعملاء ، بين المقصرين والخونة ، بين المتذبذبين والذين انضموا الى صفوف الاعداء .

ثالثا : ان يظل العدو الرئيسي هو الهدف الرئيسي ، وان تخاض اية معارك اخرى ضمن هذا الاطار ، وبانتهاج خط واضح في اننا نستعد لمجابهة العدو الرئيسي ، واننا حريصون على عدم الاقتتال الداخلي ، ونرفض الانجرار اليه، ولكن اذا ما دفعنا آلى ذلك فبسبب تعنت القوى الاخرى واختيارها اسلوب الاقتتال .

رابعا : ان يظل سلوكنا الجبهوي مع كل الحلفاء المشاركين في الجبهة ، وحرصنا على توجيه الجهد نحو العدو الرئيسي ظاهرا وصادقا ، وان نواجه كل الاشكالات التي تواجهنا باتزان وثقة وحرص على حلها حلا ملائما ينطلق من روح الحرص على حل الاشكالات في صفوف الشعب ، وداخل الجبهة المتحالفة حلا مناسبا ، اي الحل المنسجم مع فهمنا لضرورة التحالف وتوطيده .

٧ ــ العلاقات الجبهوية على الصعيد العالمي :

ينطبق على العلاقات الجبهوية على الصعيد العالمي ما ينطبق عموما على العلاقات الجبهوية فلسطينيا وعربيا . وعلى الرغم من الايضاحات التي قدمناها فيما سبق ، فاننا نود ان نقدم الملاحظات التالية :

اولا : ان الجهد الرئيسي يجب ان يتجه الى العدو الرئيسي ، وهو الولايات المتحدة الاميركية والحركة الصهيونية العالمية وحلفائهما وعملائهما والقوى الرجعية العربية المرتبطة بهما حسب خطورة كل حليف او عميل ودوره .

ثانيا : ان القوى الاخرى يجب ان يدرس موقفها جيدا، فتحدد طبيعة موقفها وتناقضاتها العالمية ، وعلاقاتها ببلادنا وقضيتنا . ثم يحدد الموقف منها على اعتبار اننا نريد كسب اكبر عدد ممكن من الاصدقاء وتحييد اكبر عدد ممكن من الاعداء ، وعزل العدو الرئيسي .

ثالثا : ان القوى والدول المتناقضة تناقضا رئيسيا او ثانويا مع العدو الرئيسي ، يجب ان تبذل الجهود لتطوير

العلاقات معها ، وزيادة تناقضاتها مع العدو الرئيسي ، او تقوية علاقاتها مع جبهنا ، والاستفادة من هذه التناقضات الى الحد الاقصى ، مهما كانت خلافاتنا معها .

رابعا : ان خطنا المستقل والتزامنا بقضيتنا والعمل على عدم الوقوع ضمن مخططات اية قوه خارجية هو السبيل للمحافظة على قضيتنا وثورتنا وحشد اوسع قوى شعبنا للقتال ضد العدو .

٨ ـ أشكال العلاقات الجبهوية :

ليس للعلاقات الجبهوية شكل واحد نموذجي ، او اشكال محددة معلومة . فقد عرف تاريخ قيام الجبهات انماطا متنوعة لا تتكرر ونادرا ما تتشابه . ويعود ذلك ، طبعا ، الى أن العوامل التي تتحكم بقيام الجبهات، والظروف التي تحيط بقيامها ذات سمات خاصة دائما . انها تتعلق بالشعب وتاريخه ، وعلاقات الانتاج لديه ، وتنظيماته السياسية ، كما تتعلق بطبيعة العدو وطبيعة المرحلة التاريخية .

ولذلك فان دراستنا لتاريخ قيام الجبهات لا يستهدف نسخ اي منها ، بل تمثل هذه التجارب ، ليساعدنا ذلك في فهم وضعنا ومعرفة افضل السبل لمعالجة مشاكله وقضاياه.

وتساعدنا دراسة تاريخ الجبهات على ادراك بعض الظواهر العامة التي يمكن ان تستخلص من هذه التجارب جميعا . ومن اهم الظواهر : التنوع والتعدد . ان القانون الاساسي الذي يمكن ان يستخلص من دراسة تجارب الجبهات المختلفة هو انها متنوعة ، والتنوع هو السمة

الاولى من سماتها البارزه . والتنوع يشمل عوامل قيامها ، كما سيشمل اشكالها وعلاقاتها . ولذلك ليس هناك نمط واحد ، يمكن ان يطبق في كل الحالات ، او اشكال معلومة يمكن الاختيار من بينهـا .

والتنوع يشمل البرامج كما يشمل الاشكال ، تبعا للاوضاع المحددة ، ولطبيعة القوى المتحالفة ، وانماط تنظيمها وقدرة كل منها ، وطبيعة العدو او الاعداء في كل حالة من الحالات .

ومن هنا فان علينا ان نعرف النمط المناسب في مرحلة معينة، لاننا ان لم ندركه لم نستطع بناء جبهة سليمة. ولقد عرف تاريخ الجبهات الاشكال التالية :

أ) جبهة الشعب كله . ولم تكن هذه الجبهات جبهة احزاب او منظمات . لقد كانت جبهة معظم الشعب ، تنخرط فيها القوى الوطنية ، وتخضع لتنظيم واحد ، وقياده واحدة، والمنظمات التي رفضت ذلك استخدم معها العنف .

قادت هذه الجبهة عناصر من فئات الشعب المختلفة ، وحصرت برنامجها في تحرير الوطن واقامة السلطة الوطنية المستقلة . (امثلة : حزب الشعب الجزائري ، الحزب العربي في فلسطين) .

ب) جبهات التحالف الوطني الديمقراطي : ومثل هذه الجبهة تتكون من احزاب مختلفة ، لها برامجها وتنظيماتها ، ولكنها تتفق على برنامج حد ادنى لمواجهة عدو تتفق جميعا على انه عدوها الرئيسي . واحسن مثل يعطى في هذا المجال جبهة التحرير الوطني الفيتنامي . يقود هذه الجبهة حزب

ماركسي لينيني ، اسمه حزب الشعب الثوري ، وينتظم فيها عدد من الاحزاب والفئات المختلفة .

ج) جبهات الائتلاف الوطني . وقد شهد تاريخ الشعوب اشكالا من الائتلاف الوطني ، حيث يلتقي عدد من القوى والاحزاب ، والجماهير الشعبية ، كما حدث في فلسطين سنة ١٩٣٦ حين انبثق ما سمي اللجنة العربية العليا ، او الهيئة العربية العليا سنة ١٩٤٦ ومنظمة التحرير سنة ١٩٦٩ .

د) علاقات التنسيق ، وهذه العلاقات تتراوح بين الضعف والقوة وطول الامد وقصره ، حسب الظروف .

وشهد تاريخ الجبهات ايضا :

أ) الجبهة الواحدة ، حيث لا تقوم جبهة سواها ، وتنتظم القوى فيها على أساس برنامج واحد .

ب) الجبهة الثنائية : حيث يلتقي عدد من القوى على برنامج ، ثم يلتقي هذا التجمع مع تجمع آخر ، كما حدث في فيانتام سنة ١٩٣٩ حين التقت القوى الوطنية الديمقراطية مع القوى المعادية للامبريالية اليابانية ، لتتكون جبهة القوى المعادية للامبريالية اليابانية . وكانت هذه الجبهة تضم عملاء بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية . ان هذا التنوع والتعدد يعلمنا كيف يمكن ان نبحث عن اشكال التحالف والائتلاف والتنسيق المناسبة لبلادنا العربية . لا لان التنوع والتعدد سمة بارزة من سمات تكوين الجبهات فقط ، ولكن لان بلادنا العربية واسعة جدا ، وهناك اوضاع سياسية وتنظيمية متعددة ، تتطلب قدرا كبيرا من المرونة لدى بحث قضايا التحالف .

ويمكن ان تعطينا تجربة النضال من اجل الاستقلال ب كل قطر عربي صورة عن تعدد اشكال العمل الوطني وتنوع صيغه واطره . كما ان اوضاع القوى الوطنية في كل قطر عربي الان تعطي صورة اخرى مماثلة . ويقدم هذا كله مؤشرات على ان الجبهة القومية المتحدة في الوطن العربي ستتأثر الى حد كبير بهذا التنوع والتعدد وستنفرد بسمات خاصة في هذا المجال ، ولا سيما من حيث تنوع صيغ العلاقات فيها وتعدد اشكالها .

وهذا لا يعني اننا لا نطمح الى صيغة جبهوية قوية متماسكة ، ولا يمنعنا من أن نسعى الى ذلك .. ولكن علينا ان نأخذ الحقائق الآنفة الذكر بعين الاعتبار .

٩ ــ ملاحظات حول الجبهة الوطنية في فلسطين :

يبدو من الضروري ان نقدم بعض الملاحظات حول تاريخ الجبهة الوطنية في فلسطين ، منذ الاحتلال البريطاني حتى الان ، وذلك لالقاء اضواء على السمات العامة لوضع الجبهة الوطنية في فلسطين .

لقد عرف شعبنا اشكال الائتلاف والتحالف الاتية :

١ ــ مؤتمرات الجمعيات الاسلامية ــ المسيحية ١٩١٩ ــ ١٩٢٩ . وكانت تضم القيادات السياسية والوجاهات . وقد عقدت هذه المؤتمرات قبل نشوء الاحزاب السياسية العربية في فلسطين ، في أواسط الثلاثينات . وكانت هذه المؤتمرات اطارا لوحدة وطنية واسعة جدا تتمثل في قيادتها العائلات الكبيرة والوجاهات ، وتستقطب في قاعدتها معظم الجماهير .

٢ ــ اللجنة القومية العليا : تكونت فيما بعد ، مع بدء اضراب سنة ١٩٣٦ ، اثر انبثاق لجان قومية في المدن الرئيسية ، ثم في كل انحاء البلاد . وكانت هذه اللجان تستقطب معظم الحركة الجماهيرية حولها . وكانت الاحزاب الخمسة قد نشأت ، (العربي ، الدفاع ، الاصلاح ، الكتلة الوطنية ، الشباب) ، وقد تكونت لجنة من ممثل عن كل منها . الا ان هذه اللجنة لم تستطع ان ترضي تطلعات الجماهير ، فانبثقت اللجان القومية ، ثم اللجنة القومية العليا .

وانشقت الجبهة الوطنية مع قيام اللجنة القومية العليا ، وانضم طرف منها هو قيادة حزب الدفاع الى صفوف العدو البريطاني . وحدث صراع دام ساهم في اخماد الثورة (١٩٣٧ ــ ١٩٣٩) .

وقامت خلال الثورة اللجنة المركزية للجهاد ، كانت تقود العمل السياسي والمسلح ، وتستقطب معظم القوى الجماهيرية ، الا انها تصادمت مع قسم من القيادات والوجاهات بقيادة حزب الدفاع .

٣ ــ الهيئة العربية العليا : تشكلت بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد انقسمت احزاب فلسطين الى جبهتين . ولكن تدخل الدول العربية قاد الى قيام الهيئة العربية العليا ، التي ضمت كل الاحزاب والقوى ما عدا عصبة التحرر الوطني (الشيوعيون العرب في فلسطين) التي ظلت تنسق مع الهيئة دون ان تتاح لها فرصة المشاركة في الجبهة .

٤ ــ اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، قامت بعد مؤتمر القدس سنة ١٩٦٤ ، وحين دخلت المنظمات الفدائية المجلس

الوطني الفلسطيني سنة ١٩٦٩ ، أصبحت منظمة التحرير تمثل معظم القوى الوطنية الفلسطينية ، ولكن وجود بعض القوى خارج المنظمة ، والاختلاف على البرنامج السياسي ، قاد الى تكوين اللجنة المركزية سنة ١٩٧٠ ، التي مثل فيها الجميع . الا ان هذه الصيغة ذابت في منظمة التحرير، وظلت اللجنة التنفيذية وحدها . هذه هي أهم اشكال العمل الجبهوي التي عرفها الشعب الفلسطيني في تاريخه الحديث ١٩١٩ — ١٩٧٥ .

كانت القيادة في مرحلة المؤتمرات من ممثلي كبار الملاك والبرجوازية في المدن والوجاهات في الريف ، وقاد هذا التحالف أكثر الشخصيات شعبية : كاظم موسى الحسيني ، ثم انتقلت القيادة الى الحاج امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ورئيس الحزب العربي ومفتي فلسطين . وكان الحاج امين قائد اكبر حزب سياسي جماهيري من بين الاحزاب ، والشخصية الاكثر جماهيرية .

وحين قامت « فتح » وأصبحت اكبر قوة في حركة الجماهير الفلسطينية أصبحت قائدة الجبهة .

ولقد لوحظ ان الوحدة الوطنية كانت مطلبا جماهيريا، خلال مسيرة الشعب الفلسطيني ، ولذلك كانت الجماهير تضغط دائما باتجاه الوحدة ، وحدة الشعب ووحدة القيادات ضد الخطر الداهم . كما لوحظ ان الدول العربية كانت تعمل لشق القيادات ، وبالتالي شق صفوف الشعب . وكانت هناك المحاور التالية :

١ — محور يتحالف مع السعودية ضد النظام في شرق الاردن .

٢ ــ ومحور يعمل للنظام في شرق الاردن .

٣ ــ ومحور يعمل للنظام في العراق .

وكان محور عمان اكثرها خطرا .

وعندما اتفقت القيادات الفلسطينية سنة ١٩٤٦ اتحدت هذه القيادات في الهيئة العربية العليا .

وهكذا نرى ان الجماهير تستطيع ان تلعب دورا فعالا في موضوع الوحدة الوطنية ، كما اننا نرى ان الدول العربية تستطيع ان تلعب دورا مزدوجا ، فهي قادرة على ان تؤثر في وحدة الصف او شقها . ويصح هذا الان ، كما صح في الثلاثينات والاربعينات . الا ان تطور مستوى الوعي وتبلور الوعي باتجاه اهمية الوحدة ، يضعف نتائج العمل الرامي الى شق الصفوف .

ومن الملاحظ ايضا ان الوحدة تصدعت وغرق الشعب في دوامة الاقتتال الداخلي ، حين خرجت بعض القيادات الفلسطينية على الاجماع الوطني ، ضد راي الجماهير ، وحين عممت الفئة الاخرى الارهاب ، وارتكبت اخطاء فاحشة في التعامل مع الجماهير، وضد الطرف الاخر، فدفعت قسما من الجماهير الى حمل السلاح معقوات الاحتلال ضد الثورة وضد الجماهير .

ان هذا يعلمنا ان الحرص على الوحدة ضروري ، وان معالجة قضايا الخلاف في الراي مهما عظمت يجب ان تتم بروية ومرونة ، حتى لا يقع الاقتتال الداخلي ، ويتجند قسم من الجماهير لمصلحة العدو .

كما يعلمنا كيف نتعامل مع الاقلية التي تخرج على خط الجماهير ، وتنضم الى صفوف العدو . ذلك ان عزلها عن قواعدها وجماهيرها ضروري جدا لاضعافها ، ومن ثم لتصفيتها ان لم ترتدع . وان محاولة تصفيتها قبل عزلها ، وقبل اقناع الجماهير بخيانتها وعمالتها ، يقود الى دفع قوى من الشعب للوقوف بجانبها .

وتلعب الاخطاء التي ترتكب ضد الجماهير دورا هاما في حشد قوى لخدمة القوى المضادة للثورة . ان الاعتداء على ابناء الشعب ، واستباحة حقوقهم وقتل الابرياء والاساءة للوطنيين سياسة تقدم خدمة للاعداء . وهذا ما اثبتته اثباتا قاطعا احداث ثورة (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩) .

١٠ ــ الجبهة الوطنية على الصعيد العربي :

واذا ما انتقلنا من الساحة الفلسطينية الى الساحات العربية ، وجدنا ان تاريخ مسيرة الجبهات الوطنية معقد ، ولكن هناك ظواهر بارزة يمكن الاشارة اليها :

١ ــ كانت الجماهير تلتف حول قاده وطنيين في العشرينات والثلاثينات والاربعينات . وكان هؤلاء محور الحركات السياسية والاحزاب . وكان هؤلاء يوحدون قطاعات من الجماهير ، ولكن ضمن اطار ولاء عاطفي والتزام معنوي عام ، لا ضمن اطار جبهة ، وقد يوحدون قسما من الجماهير في حزب سياسي . نذكر من هؤلاء سعد زغلول وحزب الوفد ، ثم مصطفى النحاس ، ومصالي الحاج وحزب الشعب في الجزائر ، والحبيب بورقيبة والحزب الدستوري في تونس ، والحاج امين الحسيني والحزب العربي في فلسطين الخ .

٢ ــ وكانت هذه الحركات والجبهات الجماهيرية تتفتت امام مناورات الاستعمار ، ونتيجة تناقضاتها الداخلية ، لان البرنامج الذي كان يوحدها كان عاما جدا : الاستقلال مثلا ، ولان القوى القيادية المشاركة فيها كانت تطمح الى السلطة، وكانت على استعداد لتقديم التنازلات الهامة من اجلها . ولان هذه القيادات تتكون من ممثلي الاقطاع والكمبرادور والبرجوازية ، وكانت هنالك تناقضات بين مصالحها .

٣ ــ وعندما قامت الاحزاب الشيوعية والاحزاب القومية (حزب البعث العربي الاشتراكي مثلا ، وحركة القوميين العرب) لم تستطع أن تبلور خط جبهة ، ولذلك خاضت صراعات كبيرة فيما بينها وبين القوى الوطنية الاخرى . وهو ما شهدته الخمسينات والستينات .

وحين قامت اشكال من التنسيق ، كما حدث في الاردن ١٩٥٤ ــ ١٩٥٧ ، او في سورية في الفترة عينها ، كان محدودا ومضطربا ، ولم يصل مستوى الجبهة الوطنية من حيث الشكل او المضمون .

٤ ــ وحين قامت الثورة في مصر سنة ١٩٥٢ لم تلبث ان حظرت الاحزاب بحجة ان الحياة الحزبية كانت عفنة ، وانها تقسم الناس ، ثم اقترح الاتحاد القومي بديلا . ثم جاءت صيغة الاتحاد الاشتراكي تحالفا لقوى الشعب العامل .

وكان هذا يتضمن :

١ ــ انهاء الحياة الحزبية والحريات الملازمة لها .

٢ ــ فرض صيغة تنظيمية واحده على البلاد تضم ايديولوجيات واتجاهات مختلفة .

وما يسمى في الجزائر باسم حزب جبهةالتحرير الوطني الجزائري ، ليس الا صيغة من صيـــغ الاتحـــاد الاشتراكي المختلفـــة .

وقامت منذ سنتين الجبهة الوطنية في العراق وسورية، والتي ضمت في العراق حـــزب البعث والحـــزب الشيوعي العراقي وقسما من الحزب الديمقراطي الكردستاني، وضمت في سورية حزب البعث وجناحي الحزب الشيوعي وبعـــض الناصريين . وكان هذا العمل خطوة على طريـــق تطويـــر العلاقات بين القوى الوطنية ، ولكنها ظلت خطوة محدودة، من حيث نطاقها او اثرها . انها لا بد مـــن ان تضـــم قوى أوسع ، وخاصة من المستقلين ، وان تكون أكثر فعالية .

ان الجبهة الوطنية ليست للاحزاب الرئيسية ولا للقوى المنظمة ، انها للمنظمات الشعبية وللجماهير وللشخصيات الوطنية ايضا ، ولكل الذين يوافقون على برنامجها .

٦ ـــ ولم تقم حتى الان جبهة قوميـــة متحـــده علـــى الصعيد العربي ، ببرنامج قومي . هناك مؤتمرات عقدت ابتداء من مؤتمر باريس سنة ١٩١٣ ، ولكن الجبهة لم تقم على الرغم من كل القرارات بشأنها . ولقـــد قامـــت اخيرا الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية ، وهي جبهـــة تمثل الدول العربية والاحزاب الحاكمة اساسا ، ولا تتسع لحركة الجماهير العربية الا في نطاق محدود (١) .

.....

(١) تشكلت في نهاية العام الماضي (ديسمبر ١٩٧٧) الامانـــة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي ، لتحقيق هذه الغاية ، ولكنها ما زالـــت عاجزة عن تمثيل هذا الطموح .

والجبهة المشاركة للثوره الفلسطينية مخصصة اساسا لمشاركة الثورة الفلسطينيـــة في نشاطاتها ، وهـــذا عمل ضروري ، ولكنها لا تفعل ذلك ضمن برنامج قومي ، اي من ضمن نشاطات اخرى في مجال الثوره العربية .

٧ ــ اما الجامعة العربية ، فهـــي شكل مـــن اشكال التنسيق الرسمي ، ولذلك فهي بطبيعتها لا تستطيع ان تقوم بمهمات الجبهة القومية المتحدة التي نطمح اليها .

١١ ــ ضرورة قيام جبهة قومية متحدة عربية :

ومع ذلك ، وعلى الرغم من تعقيدات الوضع العربي ، فان قيام جبهة قومية متحده عربية يبقى ضروريـــا ولازمـــا لمواصلة النضال من اجل الوحدة والتحرر واقامة الديمقراطية الشعبية .

لمـــاذا ؟
هـــذا ما يجب ان نجيب عليه .
ان هناك عددا من العوامل اهمها :

اولا : ليس هناك حزب عربي واحد ، موجـــود وفاعل في كل الاقطار العربية، او في معظمها. ولو كان هذا الحزب موجودا لاصبح ممكنا التفاف الاحزاب والقوى الاخرى حوله، وخلق جبهة على الصعيد العربي بأجمعه .

ثانيا : عدم وجود برنامج عمل قومي لاي حـــزب من الاحزاب العربية ، يجعل هذا الحزب معنيا عناية يوميـــة ومباشرة بصراع القوى على الارض العربية كلها . ولو كان هنالك برنامج قومي للعمل ، لكانت الجبهة اولى مستلزماته.

ثالثا : سيطرت على الاحزاب العربية ، حتى القومية

منها ، مشاغل العمل اليومي في الاقطار القائمة فيها ، وادى انهماكها في العمل اليومي والقطري الى ان تتحول برامجها القومية الى تمنيات او عموميات .

رابعا : سيطرت على العمل السياسي العربي نزعة تسلط حزب على آخر ، وفئة على فئة ، بسبب ضيق الافق السياسي وعدم ادراك أهمية الجبهة القومية المتحدة . وقد قاد ذلك الى الصراع السياسي الحاد في كثير من الاحيان داخل القطر الواحد .

خامسا : ساعد تباعد الاقطار العربية ، واختلاف اشكال الاستعمار ثم السلطة ، وعدم وجود مواصلات يومية ومنتظمة على تجزئة العمل السياسي، بعد ان جزئت البلاد، وتحولت الى دول . وعندما حصل الاستقلال ، اخذت السلطة في كل قطر ترفع اسوار التجزئة وتقوننها وتعطيها مضمونا « وطنيا » ، وتجعل لها ركائز سياسية واقتصادية وعسكرية .

ولكن ذلك كله لا يمنع قيام جبهة قومية عربية متحدة ، وان كان يؤكد وجود الصعوبات والعقبات .

١٢ ــ ثلاثة ضوابط للجبهة :

هناك ثلاثة ضوابط اساسية لا بد من ان تتوافر للجبهة القومية المتحدة . وبدون هذه الضوابط تتخلخل الجبهة وتتصدع . وهذه الضوابط هي :

اولا : لقاء مجموعة من القوى ، المختلفة الايديولوجية ، وبالتالي الانتماء الطبقي ، او القوى ذات الاصول الطبقية والايديولوجية الواحدة،او قوى من الفئتين ضد عدو رئيسي

محدد في مرحلة معينة . وهذه هي النقطة الرئيسية في برنامج اللقاء . بدون هذا اللقاء لا تكون جبهة ، وبـــه تكـــون مهما اختلفت الاجتهادات واتسعت الخلافات . وهذا اللـــقاء يوفر مداخل للحوار ، واسسا للعلاقات الجبهوية . فاذا اصبحت هذه النقطة الرئيسية محور برنامج اشمل اتسعت مجالات التعاون ، وزادت امكانيات التنسيق والتفاعل . واذا تعمق الوعي بأهمية الجبهة بين القوى ذات العلاقـــة ، ازدادت العلاقات الجبهوية تماسكا . واذا حدث نقيض ذلك ، فظل الوعي بأهمية الجبهة غائما ، ولم يتحدد برنامج لقاء حـــول النقطة الرئيسية، ظلت الجبهة عرضة للتقلبات والصراعات.

ثانيا : العلاقات الديمقراطية داخل الجبهة : ان اتاحة الفرصة للحوار الديمقراطي داخل الجبهة ، ومـــع القوى الوطنية خارجها يساعد على توثيق العلاقات داخل الجبهة وزيادة التفاعل بين القوى المشاركة فيها . وهذا يقتضي :

ا ـــ ان يحترم كل طرف آراء الاطراف الاخرى المشاركة وغير المشاركة في الجبهة من القـــوى ذات المصلحـــة فـــي التعاون .

ب ـــ ان يسود الحوار بين الاطراف المعنية روح الحرص على التعاون والتفاعل ، فيكون الحرص على الجبهة واضحا ، والنقد بناء ، والتعامل اخويا ورفاقيا .

جـ ـــ ان يعامل اي خروج على سياسة الجبهة بروح أخوية فينتقد ، ثـــم يطـــرح للكـــوادر والجماهـــير طرحا موضوعيا ، بعيدا عن الاثارة والتهويل والتشويش .

د ـــ ان تردع اية فئة مشاركة في الجبهة اذا استخدمت العنف بما يكفل تراجعها عن « انحرافها » ، بعد ان تناقش

ويوضح موقفها للجماهير ، ويطلب منها ان تعود الى الصف . ويكون هدف الردع اعادتها الى الجبهة لا « ضربها حتى الموت » .

واذا كانت الجبهة في السلطة زادت اهمية توفير الجو الديمقراطي للقوى المشاركة فيها وللجماهير . ان انهاء سياسة القمع الرجعية وتوفير امكانيات الحوار والنقد والتفاعل امور ضرورية لتمتين العلاقات في الجبهة ، ولزيادة قوتها والتفاف الجماهير حولها .

ان سياسة القمع تزيد الريبة والشك وتدفع الى الاقتتال ، وتقضي على كل امكانيات التعاون .

ثالثا : وجود قوه داخل الجبهة تملك الاحترام والقوة نسبيا أمام جميع اطراف الجبهة المشاركين والممثلين . ان وجود قوة استقطاب كهذه ، يوفر قاعدة صلبة للجبهة ، ويضمن كبح نزعات التشرذم والمقامرة لدى المنظمات الطفولية والصغيرة ، ويوحي للقوى الوطنية المنظمة والجماهير بالثقة . ولقد قامت الجبهات التي حققت نجاحات كبيرة حول قوة كهذه . وعندما توجد قوتان رئيسيتان لا بد من ان تعرف كل منهما كيف تتعاون مع الاخرى ، والا فان الصدام سيقع .

وتعطينا تجربة الجبهة في فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية مثلا لتعاون قوتين رئيسيتين : البرجوازية بقيادة ديغول ، والطبقة العاملة بقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي .

اما الصين فتعطي مثلا مناقضا ، خلال السنوات ١٩٣٧ — ١٩٤٥ ، حيث ظل الكومينتانغ اميل الى انتهاج

سياسة اقتتال داخلي وسياسة ضرب الجبهة القومية المتحدة ، بينما كان الحزب الشيوعي الصيني حريصا على الجبهة .

ان هذه الضوابط الثلاثة تتعزز بمقدار ما تعمل القوى المختلفة في الجبهة ، وعلى رأسها القوة الرئيسية ، **من اجل الالتزام ببرنامج الجبهة** وتعميق الوعي بأهميتها واهمية الحوار الديمقراطي والنقد البناء .

١٣ ــ كيف نتعامل مع قضية الجبهة على الصعيد العربي :

بعد هذا كله ، كيف نتعامل على الصعيد العربي مع قضية الجبهة القومية المتحدة ؟ ان الموضوع يبدو معقدا ، و كذلك . ففي الوطن العربي احزاب وحركات سياسية متعددة ومختلفة ، وهناك من بين هذه الاحزاب حزب قومي واحد ، هو حزب البعث العربي الاشتراكي ، ولكن حزب البعث له مركزان الان ، واحد في دمشق واخر في بغداد ، ولكل مركز تنظيماته . الا ان التنظيمات محدودة الانتشار خارج سوريا والعراق . وانقسام الحزب ووجود مركزين له من بين عوامل اخرى يحد من قدرته على قيادة العمل الجبهوي العربي حتى الان (١) .

وهناك الاحزاب الشيوعية العربية . وهي موجودة في معظم البلاد العربية (لبنان، سورية، العراق، السودان، بقايا وطلائع في مصر، تونس، الجزائر، المغرب) ومنظمات

.....

(١) حدثت تطورات بعد كتابة هذه الدراسة في سياسة حزب البعث العربي الاشتراكي (دمشق) ومواقفه . وهو ما يحتاج الى دراسة اخرى .

صغيرة جدا في اقطار اخرى . الا ان العلاقات بين هـذه الاحزاب كالعلاقات بين اي حزب شيوعي واخر في دولتين متجاورتين . ولهذا ، ولضعف دور الاحزاب الشيوعيـة ، خارج لبنان وسوريـا والعـراق والسودان ، ولان موقف الاحزاب الشيوعية من القضايا القوميـة مـا زال رجراجا وغير طليعي،فان هذه الاحزاب لا تستطيع حتـى الان ان تلعب دورا رئيسيا في الجبهة .

من يلعب هذا الدور اذن ؟

ليس هنـاك عبد الناصر الان ، وليست مصر الان في عهد السادات قادرة على ان تلعب دور مصر في عهـد عبد الناصر على صعيد الجماهير العربية . ولذلك يجب ان تبادر الحركات المستعدة لتحمل مسؤولية قيام الجبهة ورعايتها الى الدعوه لقيامها ، ومباشره العمل من اجلها . وتستطيع المقاومة الفلسطينية ان تلعب دورا هاما في هذا المجال ، اذا ما قررت ان تفعل ذلك ، واعطته الاهتمـام المناسب . ولكن المقاومة الفلسطينية لا تعتبر نفسها حركة قومية عربية ، مطالبة بتحقيق برنامج ثوري عربي . كمـا ان الخط الذي تنتهجه قيادة منظمة التحرير ازاء التسويـة والانظمة العربية الرجعية لا يمثل خط الجبهة القوميـة المتحـدة .

ان هذه الدعوة ستكون البدايـة . وستتبع ذلـك خطوات وخطوات ، تجعل الجبهة واسعة وعريضة تضـم كل القوى الوطنية والديمقراطية والثورية .

وسيبقى التبعثر قائما ، ما دامت نقطة البدء لم تتكون. ومن هنا تنبع اهمية ان تكون هنالك نقطة بدء .

ولكن الجبهة القومية المتحدة بحاجة الى الجماهير ، الجماهير مادتها وقوتها . وبدون الجماهير لا امل في هـذه الجبهة . الجبهة التي نريدها ليست جبهة احزاب ومنظمات فحسب ، انها جبهة الجماهير العريضة ايضا . ولهـذا يجب ان يوضع في الاعتبار ان تكون جبهة الجماهير ، وذلك من خلال اشراك الجماهير اشراكا حقيقيا في العمـل السياسي .

١٤ — ما يجب التأكيد عليه :

وهنا يجب التأكيد على ما يلي :

اولا : ان هناك ضرورة ماسة للتعبئة في سبيل الجبهة القومية المتحدة والنضال من اجل لقاء القوى الوطنيـة والثورية والديمقراطية على برنامج جبهة . ان هذا النضال ضروري لخلق المناخ الملائم لنمو افكار الجبهة ولقيامها .

ثانيا : ان هناك ضروره ماسة لكشف الافكار والمقولات المعادية للجبهة وتعرية هذه الافكار والمعوقات وتفنيدها . ان هذه الافكار والمقولات تصب في الاتجاه المضاد ، وتمارس تأثيرا على افكار المنظمات والاحزاب وممارستها. ولكن قبل ذلك ، نحن بحاجة الى البرنامج الجبهوي العربي ، والى القوة او القوى التي تناضل في سبيله لتتحد من حولهـا الجماهير . وليس هذا بالحل الجذري ، ولكنه الحـل الممكن والمؤقت على طريق نضالنا نحو بناء الجبهة القومية المتحدة ، المعبرة عن مطامح جماهيرنا في ثورتها القوميـة الديمقراطية الشعبية ، ولهذا يجب ان تنبعث القوى الاكثر جذرية والاكثر ثورية وتتطور وتنمو لتحتل مكانها في جبهـة الجماهير الواسعة ، ولتدفع الجبهة القومية المتحدة نحـو مزيد من الاتساع والفعالية والثورية .

نحو حرب الشعب العربية

(دراسة نشرت في مجلة «فكر» عدد ايلول ١٩٧٥)

١ ــ من جديد نكتب عن حرب الشعب :

نعود الى حرب الشعب مجددا لاسباب عــدة . يبدو من المفيد ان نعددها هنا ، قبــل ان ندخــل الــى صلب الموضوع ، مع أن شرح الاسباب ليس بعيدا عن الموضوع . ذلك ان حرب الشعب في السنوات الاخيرة اصبحت مطمحا لجماهيرنا من جهة ، وشاغلا لها من جهة اخــرى . ولهذا وذاك ترجم عدد من الكتــب في الموضــوع ، وكتبــت بعض الدراسات . ولكن هذه الترجمات والدراسات ــ علــى ما يبدو ــ لم تستطع ان تؤدي غرضين اساسيين ، اولهما : تحديد طبيعة حرب الشعب ، وثانيهما : الاجابة على الكثير من الاسئلة المتعلقة بحرب الشعب العربية ، وعلاقة حــرب الشعب بالحرب النظامية الخ .

وتعود الملابسات التي حصلت الى عاملين : اولهما : ان كثيرين ممن قرأوا الترجمات والدراســات المشــار اليها سابقا، لم يتمثلوها جيدا ، ولم يستطيعوا ــ بالتالي ــ بأن يكتشفوا المنهج لتطبيقها على الواقع العربي ، وثانيهما : ان التجارب المختلفة لحرب الشعب ، ارتبطت بظروف مختلفة ،

اماكن ، تواريخ ، شعوب ، قاده الخ ، ولذلك كانت تبدو بعيدة عن الواقع العربي الراهن ، او غير مناسبة له . وحين كانت حرب الشعب تطرح كانت تطرح من خلال مفاهيم مجزأة ، او وقائع محدده ، دون رؤية شاملة .

لهذا فمن الضروري ان نكتب اليوم عن حرب الشعب العربية تحديدا ، لا عن حرب الشعب عموما . المطلوب الان ، اذن ، ان نخرج من نطاق الترجمات والدراسات المكتوبة على هامشها ، الى الواقع العربي ، والى حرب الشعب العربية . ان بقاءنا ضمن الترجمات والدراسات المكتوبة على هامشها لا يوصلنا الى الهدف المنشود ، وهو معرفة حرب الشعب العربية وممارستها . وهذه المقالة ليست الا محاولة للمساهمة في اعادة طرح الموضوع ومناقشته .

ثم ان الامة العربية ما زالت تواجه مشاكلها الاساسية : الاحتلال الصهيوني لفلسطين والبلاد العربية ، السيطرة المباشرة وغير المباشرة للامبريالية الاميركية ، اشكال الاحتلال الاخرى ، التجزئة ، التخلف الاقتصادي والاجتماعي . ولهذا فان قضية تحرير الاراضي المحتلة : فلسطين وسيناء والجولان ، واسكندرونة وعربستان ، وسبتة ومليلية ، وتوحيد الوطن العربي وتحقيق ثورة قومية ديمقراطية فيه تحتاج الى حرب شعبية .

وفوق ذلك ، فان حرب تشرين خلقت بعض الاوهام عند بعض الفئات ، فقال بعضهم هذه هي الحرب ، وهكذا يكون القتال . اوليست ايام تشرين المجيدة اهم واجدى واكثر اثرا من السنوات الثماني التي خاضتها الثورة

الفلسطينية ؟ وقال اخرون لقد اثبتت حرب تشرين ان الحرب النظامية هي طريق التحرير ، وان حرب الشعب انتهى عهدها في زمن الطائرات النفاثة والمدافع البعيدة المدى والاجهزة العسكرية الالكترونية .

لهذا كله سأكتب عن حرب الشعب مجددا ، لانني اعتقد انها طريقنا لتحقيق النصر ، ولاني اعتقد ان المستقبل هو مستقبل الجيوش الشعبية والحروب الشعبية . ثم لانني اود ان أجلو بعض الحقائق حول موضوعات حرب الشعب عامة .

٢ ــ حرب الشعب لم ينته عهدها :

أود ان اؤكد ان حرب الشعب لم ينته عهدها . ففي هذا العام سجلت ثورات ثلاث في فيتنام وكمبوديا ولاووس انتصار حروب شعبية ثلاث . وفي الحالات الثلاث سجلت بلدان صغيرة ومتخلفة انتصارات على الولايات المتحدة الاميركية اعتى قوة امبريالية في العالم، وعلى عملاء رجعيين داخليين ، متمرسين في القمع ، ومزودين بامكانيات عسكرية كبيرة. ولقد اكدت هذه الانتصارات الثلاث ان حرب الشعب هي الوسيلة الوحيدة للتخلص من السيطرة الامبريالية الخارجية، ومن سيطرة عملائهاالرجعيين الداخليين.وأكدت في هذا العام ايضا تجربة الشعوب الافريقية التي كانت خاضعة للاستعمار البرتغالي انحرب الشعب ليستالطريق لتحرير الشعوب المستعمرة فحسب، بل هي ايضا عاملهام من عوامل تحرير شعوب الدول المستعمرة .

ولكن هذه الوقائع ليست وحدها دليلنا على ان حرب

الشعب لم ينته عهدها . فهناك ادلة اخرى . ومن هذه الادلة ان الامبريالية الاميركية ما زالت قوية جدا ، على الرغم مما اصابها من هزائم ونكسات في السنوات الخمس الاخيرة . وهي تنتج اسلحة متطورة ، وتملك امكانيات مادية كبيرة بشرية ومالية وفنية . وهي فوق ذلك تخطط للمحافظة على مواقعها ومصالحها في العالم الثالث عامة ، وبلادنا العربية خاصة . ولذلك فهي تعد عملاءها من الرجعيين المحليين جيدا ، وتلبسهم ثياب ثيو ولون نول وباك جنغ هي الخ . وتقتضي مواجهة مخططات الامبريالية الاميركية ومخططات عملائها اعداد جماهير شعبنا لحرب الشعب من اجل تحرير ارضها وانهاء كل مظاهر السيطرة والاستغلال عليها .

ولدينا نحن في البلاد العربية دولة الاحتلال الصهيوني، المزودة بأكداس من احدث ما في الترسانة الاميركية ، القادرة على صنع مختلف انواع الاسلحة وتطويرها من الرشاش الى الصاروخ ومن الدبابة الى الطائرة . ودولة الاحتلال الصهيوني تنتهج داخليا سياسة اعداد كل قواها اعدادا عسكريا شاملا لمواجهة احتمالات الحرب والثورة ، وتنتهج ازاء البلاد العربية سياسة توسع وعدوان من جهة ، وسياسة المحافظة على التفوق العسكري والاحتفاظ بزمام المبادرة من جهة اخرى. وما زالت الولايات المتحدة الاميركية تساندها في هذه السياسة مساندة تامة .

وهذا كله يقتضي حربا شعبية شاملة ، تقاتل فيها الجماهير المدربة والمنظمة والمسلحة ، لان هذه القوة وحدها هي القادرة على تحمل اعباء حرب من هذا القبيل ، تواجه فيها البلدان النامية الجيوش الحديثة والاسلحة الحديثة .

واذا نظرنا الى المستقبل ، وجدنا ان حرب الشعب هي وسيلة الشعوب الوحيدة للمحافظة على استقلالها ، ولصون وحدة اراضيها ، والحيلولة دون وقوعها فريسة اية قوة خارجية طاغية . فالشعوب الصغيرة ، او التي كانت متخلفة واتجهت نحو التنمية، لا تستطيع ان تنافس الدول الامبريالية في انتاج الاسلحة المتطورة ، ولا تستطيع ان تعتمد على شراء الاسلحة المتطورة من الدول التي تصنعها ، لان ذلك يكلفها مبالغ طائلة ، ولانها في مثل هذه الحالة تخضع قدرتها القتالية لقرار خارجي ، ولذلك فانها ستضطر للاعتماد على حرب الشعب ، لانها تنقذها من هذا كله .

ثم ان وجود الاسلحة النووية اوجد واقع الردع النووي ، وجعل احتمال وقوع الحروب غير النووية اكثر ورودا من احتمال وقوع الحروب النووية ، لان امكانيات التدمير في مثل هذه الحروب اقل منها في الحروب النووية . وحرب الشعب هي انجع الوسائل للرد على هذا النوع من الحروب .

ولكن اذا ما استخدمت الامبريالية الاميركية اسلحة نووية ضد أي بلد ، بهدف تدمير آلتها العسكرية ، وحاولت ان تفرض هيمنتها على سكان ذلك البلد ، تكون حرب الشعب الوسيلة الناجعة لمواجهة الغزاة .

وهكذا ستبقى حرب الشعب، حرب الجماهير ضد الغزاة الخارجيين، او المستغلين الداخليين، او الاثنين معا، ولن ينتهي عهدها حتى تنتهي الحرب بزوال الاستغلال وزوال الطبقات وزوال عقلية القمع والسيطرة والعدوان .

٣ ــ لماذا تسمى حرب الشعب ؟

وهي تسمى حرب الشعب ، لانها اولا تعبر عن مطامح الشعب وارادته ومصالحه . وهذا الالتزام بمصالح الجماهير الغفيرة ومطامحها هو الذي يعطي الحرب طابعها ويكسبها قوتها . انها ، اي الحرب ، ليست حرب الطغمة الراسمالية في سبيل مصالحها ومطامحها ، ولا حرب الاقطاعيين في سبيل المحافظة على امتلاك الارض واستغلال الفلاحين ، بل حرب الجماهير الغفيرة في سبيل تحرير الارض من الاحتلال ، وتحرير الانسان من الاقطاع واشكال الاضطهاد والاستغلال المختلفة .

وهذه الحرب ، تسمى حرب الشعب ايضا ، لان الجماهير الغفيرة تصنعها . انها ليست صنع قيادات عسكرية محترفة ، ولا صنع كتائب عسكرية تقليدية ، بل صنع جماهير الناس العاديين ، بقيادة طلائعهم الواعية ، وتنظيمهم الطليعي وجبهتهم القومية الشعبية . هذه الحرب صناعة شعبية ، يستخدم فيها الشعب كل طاقاته المادية والمعنوية ، ويبرز كل ابداعه ويبذل كل جهوده ، ومن هنا تحمل هذه الحرب اسم الشعب . وشعبية هذه الحرب مرهونة بمدى مشاركة الشعب في « صنعها » ، وهي حرب الشعب لانها رد الشعب على أعدائه ، سيان كانوا غزاة خارجين او عتاة رجعيين داخليين . انها من جهة الرد على الحرب الاستعمارية ــ الامبريالية ، ومن جهة اخرى الرد على الحرب الاهلية الرجعية او على الاثنين معا . فالحرب التي شنها الامبرياليون الاميركيون على الشعب الفيتنامي حرب امبريالية ، والحرب التي شنتها طغمة دييم وكاو كي وثيو على هذا الشعب ايضا حرب اهلية رجعية ، اما الحرب

التي شنها الشعب الفيتنامي على الغزاه الاميركيين وديبيم وكاو كي وثو فهي حرب شعبية، حرب الشعب، لانها عبرت عن مطامح الشعب ومصالحه في هذا الصراع ، ولانها كانت رد الشعب على خصومه الامبرياليين الاميركيين والرجعيين الداخليين .

ولذلك فان الحرب التي ستخوضها الجماهير العربية ضد الاحتلال الصهيوني اولا ، وكل اشكال الاحتلال الاجنبي للاراضي العربية ، والحرب التي ستخوضها الجماهير العربية ضد القوى الرجعية العميلة للاحتلال الاجنبي والعاملة ضد حركة الوحدة والتقدم هي حرب الشعب العربية .

ولقد كانت الثوره الفلسطينية ، التي انطلقت منذ سنة ١٩٦٥ ، من طلائع هذه الحرب .

٤ ــ هل نحن بحاجة الى حرب شعب عربية ؟

نطرح هذا السؤال ، لان هناك من يرد على موضوعات ضروره حرب الشعب باعتبار الحرب النظامية بديلا . وهنا يبدو ان هناك نوعا من الالتباس . فنحن عندما نتحدث عن حرب الشعب لا نتحدث عن اساليب القتال ، وعن التكتيك تحديدا ، ولا نخير الجماهير العربية بين اسلوب الحرب النظامية او حرب العصابات لمقاومة الاحتلال الصهيوني . ويبدو ان الذين يطرحون الحرب النظامية بديلا لحرب الشعب لا يعنيهم من الامر الا التكتيك والتكتيك فقط ... اما نحن فيعنينا الجوهر . والفرق في الجوهر كبير .

فحرب الشعب اولا يقوم بها الشعب، وتقودها قيادات تمثل مصالحه ومطامحه ، وتقاتل من اجل دحر الاحتلال الاجنبي والقهر الداخلي ، واقامة سلطة الشعب . اما الحرب النظامية التقليدية ، فهي عادة الحرب التي تخوضها الانظمة البرجوازية المعادية للشعب ، والتي لا تثق به ثقة كافية للسماح له بالمشاركة في المعركة ضد أعدائه . ومن هنا فان اختيار اسلوب الحرب له علاقة بنوع القيادة التي تقود ، ونوع الاهداف التي ترمي اليها الحرب . وبما ان مواجهة الغزو الامبريالي الخارجي اليوم ، يحتاج الى تعبئة اوسع قطاعات الشعب ، فان الحرب الشعبية هي الطريق الوحيدة الى النصر . ويزيد من أهمية اختيار هذه الطريقة وضرورتها وجود عتاة رجعيين داخليين يتعاونون مع العدو الخارجي ويقاتلون الى جانبه . ولقد اثبتت كل وقائع العصر الحديث ان الشعوب لا تستطيع الانتصار على الغزو الامبريالي والقهر الداخلي ، او اي منهما ، دون حرب الشعب ، وان الحروب النظامية التقليدية لم تستطيع ان تحقق هذه المهمة .

وحرب الشعب ، تعتمد على تعبئة الشعب كله ، لا على تجنيد فئة منه ، كما تفعل الحروب النظامية التقليدية . وهي تنطلق من الاعتماد على الشعب أساسا ، على ابداعه وعلى امكانياته ، ومايستطيع الحصول عليه من مساعدات. ولذلك فهي تعتمد اساسا على الاسلحة الخفيفة نسبيا ، لان الحصول عليها سهل ، ولا تربط مصير الحرب بالاسلحة المتقدمة والمتطورة جدا ، لان الحصول على هذه اسلحة بالكميات المطلوبة دوما غير ميسور . ثم ان حرب الشعب تتجه الى الاستفادة القصوى من الاسلحة البدائية والعادية والاستفادة القصوى من الاسلحة المتطورة التي يتم الحصول

عليها . ولذلك فالفيتناميون لم يحرصوا على بنـــاء سلاح طيران متطور ، ولم يستخدموا الطيران الا قليلا في الدفاع عن الشمال ، ولم يخوضوا معـــارك مدرعـــات كبيره في الجنوب ، بل خاضوا حربا هي حرب مشاة أساسا ، جرت الاستفادة فيها ، وفي المرحلة النهائية خاصة ، من مجموعات صغيره من المدرعـــات . ولكن هـــذه الحرب استخدمت الصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ الاخرى عـــلى نطاق واسع . ولقد كانت فيانتام الشماليـــة تستطيع ان تضغط باتجاه الحصول على المزيد من الطائرات والمدرعات. الا ان مثل هذا الاتجاه كان سيزيد استنزاف الاقتصـــاد الفيتنامي ، وسيزيد الاعتمـــاد على الاتحاد السوفيـــاتي اقتصاديا وعسكريا ، وسيجعل المعركة معركة الاسلحـــة الاميركية ضد الاسلحة السوفياتية ، وليس معركة الشعب الفياتنـــامي ضد الغزاه الاميركيين وعملائهم الرجعيـــين الداخليين . ولقـــد كان ضروريـــا ان يبرز دور الشعب الفياتنامي في المعركة ، وان تثبت قدرته على هزيمة الامبريالية الاميركية واسلحتها المتطوره . ولم يكن الشعب الفياتنامي قادرا على ان يخوض حربا نظامية تقليدية ضد الترسانـــة الاميركية العسكرية وعملائها العتاه الرجعيين الداخليين ، حتى لو قدم له الاتحاد السوفياتي المزيد والمزيد من الطائرات والمدرعات المتقدمة . لان الحرب النظاميـــة التقليدية هي اساسا حرب الدول الامبريالية المنتجة للاسلحة والقـــادرة على تمويل الجيوش النظامية الكبيره وتوفير الاسلحـــة المتقدمة لها . ولم تكن يوما حرب الشعوب في الدفـــاع عن استقلالها او في مواجهة الرجعيين الداخليين . وعندما واجه الشعب السوفياتي ، خلال الحرب العالمية الثانيـــة ، الغزو الالماني النازي واجهـــه من خـــلال حرب الشعب

السوفياتية . واستخدم الشعب السوفياتي في هذه الحرب قواته النظامية الشعبية وقوات انصاره، وعبأ كل جماهيره، ولجأ الى كل أساليب المقاومة ، ولم يقتصر على أسلوب واحد فقط .

وبعد ذلك فهل يحتاج العرب الى حرب شعبية ؟

نعم انهم في حاجة الى ذلك . واول ما يعنيه ذلك ان العرب بحاجة الى قيادات جديده منبثقة من الشعب ملتزمة به ، عاملة من اجل تحرير أرضه وتحريره من القهر السياسي والاجتماعي . ان هذه هي النقطة الاولى . نحن بحاجة الى حرب الشعب ، لان حرب الشعب لا تحمل اساليب جديدة في القتال فحسب ولا تنوعا في العمل المسلح فقط ، بل تحمل معها عقلية سياسية جديده ، قادره على استقطاب اوسع قطاعات الشعب ، والجماهير الكادحة خاصة، وعلى تعبئة هذه القوى وتنظيمها وتحويلها الى قوى مقاتلة ضد اعدائها . وهذه « العقلية السياسية » ، وهذا الوعي الثوري ، هما الاساس .

نحن اذن بحاجة الى حرب الشعب ، لاننا بحاجة اولا الى اجراء عملية تبديل شاملة في بنية حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وحرب الشعب هي الطريق **لاجراء عملية التغيير الشاملة هذه** . نريد ان ننتقل من العجز الى القوة ، ومن الدفاع الى الهجوم ، ومن التشتت الى الوحدة ، ومن الاعتماد على العوامل الخارجية الى الاعتماد على انفسنا ، ومن الاعتماد على القيادات والجيوش النظامية **الى الاعتماد على جماهير الشعب** وقواها الطليعية ... ونريد ايضا ان نقاتل من اجل انفسنا ودفاعا عن

وطننا وبقيادة انفسنا ، لنستطيع ان نعبر عن مطامحنا وندافع عن مصالحنا .

ونحن بحاجة الى حرب الشعب العربية ، لان القوى العربية الحاكمة لم تستطع منذ ١٩٤٧ ان تعالج مشاكل الامة العربية الاساسية : الاحتلال الصهيوني في فلسطين ، ثم البلاد العربية منذ ١٩٦٧ ، والمشاكل المزمنة في ميادين التخلف والقهر السياسي والاجتماعي . وعلى الرغم من الاسلحة التي حصلت عليها الدول العربية من جهات مختلفة والتي تفوق ما حصلت عليه دولة الاحتلال اضعافا مضاعفة، فما زالت دولة الاحتلال الصهيوني قوة قائمة تهدد اراضي البلاد العربية وامنها واستقلالها . وما زالت التجزئة تتحكم بالوطن العربي ، وتقيم حواجز تتعالى وتترسخ بين اقطاره، وما زالت مشاكل التخلف الاقتصادي والاجتماعي غير محلولة لا حلا جذريا ولا مرضيا ، والتقدم الذي حصل هنا وهناك على اهميته كان محدودا وجزئيا وغير كاف لاحداث النقلة النوعية المطلوبة والمنشودة في حياة الامة العربية .

ومواجهة دولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية وتحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة تحتاج الى القوة الطليعية القادرة على حشد قوى الشعب وتحويلها الى قوة قادرة على هزيمة العدو الصهيوني ، وتحتاج الى جبهة الشعب المنظمة المسلحة والى جيش الشعب الثوري الجرار . ان هذه المواجهة ، في هذا الوقت من القرن العشرين لن تنتصر الا من خلال حرب شعبية تخوضها الجيوش العربية الشعبية الجرارة .

كما ان تحقيق الثورة القومية الديمقراطية الشعبية المتمثلة

بتحرير الارض من الاحتـــلال ، وانهاء التجزئـــة والتخلف الاجتماعي والاقتصادي وبناء مجتمع عربي متحرر موحـــد تحتاج الى حرب الشعب هذه . لان هذه الحرب هي حرب الجماهير ضد اعدائها الخارجيين الرئيسيين : الاحتـــلال الصهيوني والولايات المتحده الاميركية واعدائها الداخليين الرئيسيين القوى والانظمة الرجعية المعادية لحركة التحرير والوحدة والتقدم .

نحن اذن بحاجة الى حرب الشعب ، لانجاز الثـــورة القومية الديمقراطية العربية ، وتحقيق اهدافها في التحرير والوحدة والديمقراطية الشعبية .

٥ ــ حرب الشعب العربية :

عندما نتحدث عن حرب الشعب العربية ، فمـــاذا يعني ذلك ؟ انه يعني تطبيق قوانين حرب الشعب العامـــة على الوطن العربي . فلحرب الشعب ، خلال تجاربهـــا الطويلة والمتعددة قوانينها العامة . وهذه القوانين العامة هي خلاصة التجارب السابقة . ولكن كل تجربة من هـــذه التجارب لها قوانينها الخاصة . ولذلك فان لحرب الشعب العربيـــة قوانينهـــا الخاصـــة أيضـــا . وتنبـــع هـــذه القوانين من خواص الشعب ، وتطور الطبقات وادوارهـــا وتفاقم الصراعات فيما بينها والصراع مع العدو الخارجي . ومن خواص الارض : التضاريس وتنوعها وتعددها واتساع الرقعة والمناخ الخ . وخواص العدو او الاعداء : عوامـــل القوة والضعف . وسنتناول هذه القضايا بايجاز :

اولا : الامة العربية ــ الشعب والارض . امة عريقة ذات تاريخ مجيد ، تعد مائة وخمسين مليونا ، مقسمة الى

عشرين دولة لكل منها علمها ودستورها وحدودها . وتختلف هذه الدول اختلافا كبيرا من حيث عدد السكان والحداثة والقدم والامكانيات الاقتصادية ، والتقدم او التخلف . وتعيش الامة العربية على رقعة من الارض تبلغ حوالي اثني عشر مليون ميلا مربعا ، تتفرد بطول شواطئها ، وتنوع تضاريسها من الجبال الشاهقة الى السهول والصحاري ومن الغابات الى الاراضي الجرداء ، ومن المستنقعات الى التلال الرملية . وتتعدد المصادر الاقتصادية تبعا لذلك وتتنوع ، لتضم مجموعة هامة من المعادن والثروات : النفط ، الحديد ، الذهب ، الزئبق الخ ... ولقد حدثت تطورات كبيرة في هذه الاقطار منذ عشرين عاما ، فأخذت تتقلص سيطرة الاستعمار القديم ، حتى انتهت . ثم ضرب الاقطاع والكمبرادور في بعض الاقطار : مصر ، سورية ، العراق ، الجزائر ، ليبيا واليمن الديمقراطية ، وتحققت بعض الاجراءات التي عززت سيطرة البرجوازية الصغيرة، وحققت سيطرة الدولة على قطاعات اقتصادية واسعة . ولكن هناك بالمقابل دول تسيطر عليها قوى مغرقة في رجعيتها كالاردن والمملكة العربية السعودية وامارات الخليج العربي وسلطنة مسقط وعمان والمغرب . يحتل الصراع مع الاحتلال الصهيوني خاصة والاستعمار الخارجي عامة اهمية اولى عند الجماهير العربية ، وتأتي الصراعات من اجل التغيير الاقتصادي والاجتماعي في المرتبة الثانية ، مع أن هناك جماهير عربية واسعة في كل البلاد العربية تعيش مسحوقة ومضطهدة ابشع انواع الاضطهاد .

ويتبلور الوعي السياسي باضطراد وتزداد الصراعات حدة ، ولكن الامة العربية لم تفرز حزبها الطليعي الواحد وجبهتها الشعبية الموحدة وجيشها الشعبي . ولذلك فما زال

لصراع مع الاعداء الخارجيين والداخليين نتيجة سياسات نظرية وعفوية ، وفي ظل انظمة قطرية ، برجوازية وطنية أو رجعية متخلفة . ان هذا الوضع يجعل الصراع مع لاعداء الخارجيين خاضعا لروح المساومة . كما ان هذا وضع ، ونتيجة اتجاه انظمة البرجوازية الصغيره عموما حو المساومة مع الانظمة الرجعية المتخلفة ، اصبح اكثر عقيدا وحراجة بالنسبة للقوى الثورية داخل الاقطار لعربية . فالقوى الحاكمة الرجعية تقمع القوى الشعبية تضطهدها ، والقوى البرجوازية الصغيره تفرض سيطرتها لحديدية في معظم الاقطار ، ولا تترك لحركة الجماهير الثورية اية امكانية للعمل الشرعي ... ولهذا فان حركة الصراع مع الاحتلال الصهيوني والولايات المتحده الاميركية ما زالت تصطدم بأنظمة قاصره مساومة ، لا تؤمن بالشعب، ولا تثق به ، ولا تعده ولا تنظمه ولا تسلحه . كما ان الحركة الديمقراطية ما زالت تواجه أشرس أنواع القمع والاضطهاد في معظم الاحيان ، وان كان ذلك بدرجات مختلفة .

ولدى الجماهير العربية ، بالاضافة الى ذلك كله . حساسية شديدة ازاء الاعداء الخارجيين واستعداد كبير لتضحية والبذل .

وتسيطر على الدول العربية الخلافات والتناقضات ، ولقد كانت هنالك محاور في الوطن العربي، منذ نشوء الدول العربية . وكان الصراع اساسا بين محوري مصر والعراق في عهد الاستعمار البريطاني . وعندما قامت ثوره الثالث والعشرين من يوليو واصبحت محور حركة التقدم العربي اصبحت مصر محور حركة التقدم في الوطن العربي ، وكان عراق نوري السعيد محور القوى الرجعية . أما الان

فالوضع مختلف نسبيا ، لان مصر بعد عبد الناصر اتجهت اساسا الى حلف مع الدول المفرقة في رجعيتها : المملكة العربية السعودية وامارات الخليج والكويت الخ . وما زالت الاقطار الاخرى تصارع من أجل خلق محاورها السياسية ، الرسمية والشعبية . ولهذا فالوطن العربي يعيش اليوم مرحلة من التفتت . وسياسة التضامن العربي التي انتهجها الرئيس السادات لم تحقق نتائج كبيره ، لانها لم تستطع ان توحد مصر وليبيا ولا سورية والعراق ، ولا الجزائر وسورية الخ .

وجاء بروز الثروة النفطية خلال السنوات الثلاث الماضية ، فزاد من قوة الامة العربية عموما ، ولكنه زاد ايضا من قوة اكثر دولها رجعية وتخلفا كالمملكة العربية السعودية ، وزاد من قدرة هذه الدول على افساد قطاعات من جماهيرها ، وجماهير الدول العربية الاخرى . كما زاد من تأثيرها السياسي في السياسة العربية والعالمية .

ان هذا الوضع كله يحتاج الى عملية تغيير شاملة والمطلوب الان أن نصعد الصراعات مع الاعداء الخارجيين ، وأن نصعد الصراع من أجل انجاز الثورة الديمقراطية الشعبية .

ثانيا : الامة العربية واعداء ثورتها القومية الديمقراطية .

ان اعداء الامة العربية في ثورتها القومية الديمقراطية الشعبية هم :

أ ــ الاحتلال الصهيوني والحركة الصهيونية العالمية .

ب ـ الامبريالية الاميركية .

ج ـ القوى الرجعية العربية المتآمرة مع العدو الخارجي والعاملة ضد الثوره القومية الديمقراطية .

والعدو الصهيوني هنا ، العدو الرئيسي الاول . انه يشكل استعمارا استيطانيا من جهة ، كما انه يشكل تهديدا لوحدة الارض العربية واستقلالها من جهة أخرى .

ودولة الاحتلال الصهيوني تقوم الان على فلسطين وسيناء والجولان . وهي رقعة تطوقها البلاد العربية من الجهات الثلاث : الجنوب والشرق والشمال ، ويحدها البحر من الغرب . الا ان هذه الفجوة تستطيع الاساطيل العربية اغلاقها .

وتملك دولة الاحتلال الصهيوني جيشا كبيرا ، يمكن ان يبلغ اربعماية الف خلال حالات الاستنفار القصوى . وتدريب هذا الجيش جيد ، وقدرته القتالية عالية ، في كل الميادين .

ويملك جيش العدو ترسانة من الاسلحة ، تعتمد اساسا على ما توفره الولايات المتحدة الاميركية ، ولكن دولة الاحتلال تعمل على تطوير صناعاتها العسكرية لتستطيع تحقيق استقلال نسبي . وتقوم سياسة العدو الآن على خلق قوات قادرة ومجهزة ، وتطوير امكانيات الاعتماد على النفس ، والمحافظة على التحالف مع الولايات المتحدة. ولكن دولة الاحتلال تواجه وضعا متزايد الصعوبة . فمن جهة يتدهور موقف الولايات المتحدة الاميركية على الصعيد

الدولي ، وتنهار مواقعها في كل مكان . ومن جهة اخرى تزداد قوة القوى العمالية والوطنية في العالم وتنهار الانظمة والقوى الرجعية . ومن جهة ثالثة فان الدول العربية تزداد قوه ، والجماهير العربية تزداد وعيا وتطورا . ان هذا كله يضعف موقف قوات الاحتلال ودولة الاحتلال ، لا سيما أن أزماتها الداخلية تتفاقم ، واعتمادها على الولايات المتحدة الاميركية المتداعية يزداد خطورة .

وتعيش الولايات المتحده الاميركية سلسلة من الازمات الداخلية الحادة ، كما ان وضعها على الصعيد العالمي آخذ بالتدهور . ولقد جاءت هزيمتها في بلدان الهند الصينية ضربة قاصمة جديده هزت مواقعها الخارجية الباقية ، وساهمت في تعقيد ازماتها الداخلية . وعلى الرغم من قوه الولايات المتحدة الاميركية وجبروتها ، فان قوتها تتضاءل على الصعيد العالمي . وما عاد لها اليوم ، ما كان لها قبل عشر سنوات او عشرين سنة من قوة رهيبة ورهبة. ولذلك فان حلفاء الامس اصبحوا اليوم منافسين وانـدادا ، وعملاء الامس أصبحوا يحاولون أن يكونوا شركاء .

أما القوى الرجعية العربية العميلة ، فانها تصب جهودها على تثبيت الوضع القائم وتوطيده والمحافظة على مصالحها فيه . انها معنية اساسا بمحاربة حركة الوحده والتقدم ، وضرب الحركة الديمقراطية الشعبية . وكذلك فان هذه القوى تضرب القوى الوطنية والتقدمية ، لتحافظ على هيمنتها ونهبها واستغلالها . وهي في الوقت عينه تعمل على تعزيز تعاونها وتضامنها مع الولايات المتحدة الاميركية، وان حدثت بعض الخلافات الجزئية احيانا . وتملك هذه القوى جيوشا واموالا طائلة وخبرات في ميادين القمع والاضطهاد والاستغلال .

ان هذا الوضع يتفرد بكثرة عدد السكان ، ويوفر الامكانيات الاقتصادية ، كما انه يتفرد بأن معظم اراضي الوطن محررة من الاحتلال الخارجي ، وبأن خطوات من الثوره الديمقراطية قد تحققت في مناطق واسعة . ولذلك فهناك جيوش كبيره نسبيا ، انشئت ، تملك اسلحة متطوره . ولكن بالمقابل ، فان القوى المسيطره على الاغلب، لا تعد نفسها جديا — وان اختلف هذا ما بين بلد وآخر — لمواجهة الاحتلال الصهيوني ، ولذلك فما زال الاحتلال الصهيوني قائما ، منذ سنة ١٩٤٨ ، ثم مره اخرى منذ سنة ١٩٧٣ .

ان تحرير الارض من الاحتلال وهو من المهمات الاساسية للثورة القومية الشعبية ، ما زال لم ينجز بعد . ولا يبدو أن الانظمة القائمة قادرة بعقليتها ووسائلها على انجازه .

ثم ان هذه القوى عينها ما زالت غير قادرة على ان تخطو اية خطوة باتجاه الوحدة العربية ، مع ان الوحده العربية هي المهمات الاساسية في جدول مهمات الثورة القومية الديمقراطية الشعبية العربية .

وهناك ايضا في جدول مهمات الثورة القومية الديمقراطية الشعبية العربية ، مهمات انهاء مخلفات القرون الوسطى واسقاط الاقطاع والكومبرادور ، ولقد انجز بعض هذه المهمات ولكن هناك مناطق واسعة لم ينجز فيها. هدف حرب الشعب العربية اذن انجاز الثورة القومية الديمقراطية الشعبية والتي تتضمن :

١ — تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة .

٢ ــ تحقيق الوحدة العربية .

٣ ــ اسقاط الاقطاع والكمبرادور ومخلفات القرون الوسطى ، ومصادره الشركات الاجنبية واستعادة الثروات المنهوبة . وهذه مهمات متداخلة ومتكاملة .

ان هذا الواقع كله يعني :

١ ــ ان معركة تحرير الارض والانسان تستلزم بروز قيادات جديدة ملتزمة بخط الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ، عاملة من أجل انجازها .

٢ ــ ان القيادات الجديده لا بد ان تتمثل بحزب طليعي ، وجبهة شعبية وجيش شعبي .

٣ ــ ان وفره الامكانيات لدى الامة العربية واتساع رقعة الارض وتنوع التضاريس ، تفسح المجال امام قوى الثورة لتبني الجيوش النظامية الشعبية الكبيره ، ولتملك الاسلحة المتقدمة .

٤ ــ ان اسلوب حرب العصابات يمكن ان يستخدم في المناطق التي يسيطر عليها العدو كالاراضي المحتلة ، او على الحدود ، او خلال الحروب الكبيرة . كما يمكن ان يستخدم في الوقت الذي لا تكون فيه لدى الثورة قوات نظامية شعبية كبيره ، كما يمكن ان يستخدم حيث لا تستطيع الجيوش النظامية الشعبية أن تتحرك .

ولهذا فان حرب الشعب العربية ستقرن حرب العصابات بالحرب النظامية وشبه النظامية ، واستخدام الاسلحة المتطورة بالاسلحة الخفيفة ، والعمل السياسي بالعمل العسكري والهجمات النظامية بالانتفاضات الشعبية والتعبئة لتمزيق صفوف العدو بالتعبئة لتوحيد صفوفنا .

وهي بهذا كله تكون كلا متكاملا يفجر طاقات شعبنا كله ، ويهزم اعداءنا واحداً واحدا .

٦ ــ حرب الشعب والحرب النظامية :

ان حرب الشعب ، كما بيّنا غير الحرب النظامية التقليدية ، وهي ايضا غير حرب العصابات . حرب العصابات اسلوب من اساليب حرب الشعب ، لان حرب الشعب تضم كل قوى الشعب ، وكل طاقاته . فاذا استطاع الشعب ان يتخطى مرحلة حرب العصابات ، وان يصل الى مرحلة الحرب شبه النظامية ، او النظامية الشعبية ، فان هذا يعتبر تطورا ، ولكن هذا التطور لا يعني ان اسلوب حرب العصابات انتهى فسيبقى هذا الاسلوب ما بقيت الحرب . كما أن تطور الثورة المسلحة وبناء قوات شعبية نظامية لا يعني انها تحولت الى الحرب النظامية التقليدية . وكذلك فان امتلاك الاسلحة المتطورة والجيوش الكبيرة والتغني باسم الشعب لا يجوز ان يعني ان الحرب حرب شعبية .

ولذلك فحرب الشعب العربية ليست حربا نظامية تقليدية ، ومتى ما تحولت الى حرب تقليدية فقدت الحق باسمها . الا ان هذا لا يعني اننا نرفض الحرب النظامية مع العدو ، أو نرفض مشاركة الجيوش النظامية العربية . ان الجيوش النظامية العربية ، وخاصة قواعدها وضباطها الصغار وكثير من قياداتها ، من الشعب ، ويتحلى قسم كبير منها بروح وطنية ، وحماسة عالية ، وهذه الجيوش مستعدة لمقاتلة الاعداء الخارجيين خاصة ، ولا سيما دولة الاحتلال الصهيوني . ومن مصلحة قوى الثورة ان تقاتل هذه الجيوش الى جانبها . وتسمح الامكانيات التي تملكها هذه

الجيوش لها بخوض حروب نظامية محدودة . ولذلك فاننا مطالبون ان نحرضها على ضرورة خوض الحروب ضد الاحتلال الصهيوني ، وان نقاتل لنخلق المناخ الثوري الملائم لتفجر حماستها وزيادة اندفاعها . وسيساعدها قتالها واحتكاكها بالقوى الشعبية الثورية المقاتلة على ان تزداد ثقة بالجماهير واحتراما لها ، كما سيساعدها على تطوير وعيها السياسي وخبراتها النضالية ، وسيجعلها اكثر قربا من الشعب ، واكثر بعدا عن قياداتها المتذبذبة والمساومة او الرجعية والعميلة .

وعليه فان حرب الشعب لا ترفض اسلوب الحرب النظامية ، ولا الجيوش النظامية ، ولكنها لا ترى فيها حل مشاكل الشعب ، ويمكن ان تستخدمها — اذا سنحت لها الفرصة — ضمن حشدها الطاقات والوسائل لتحقيق اهداف الشعب . ولكن حرب الشعب تبقى الاصل ، وتبقى الاساس . والخلاف حول ايهما ننهج حرب الشعب او الحرب النظامية ، خلاف بين خطين سياسيين وفكريين ، خط الثورة وخط المحافظة . ولما كنا نحن مع خط الثورة فنحن مع حرب الشعب نهجا واسلوبا .

٧ — الثورة الفلسطينية وحرب الشعب :

لقد جاءت الثوره الفلسطينية تعبيرا عن اراده الشعب الفلسطيني ، مجسدة طموحه لتحرير ارضه والعوده الى وطنه ، واستطاعت خلال السنوات العشر الماضية ان تثبت مجموعة من الحقائق اهمها :

م — ان شعبا صغيرا مشردا لا يملك السلاح المتطور، قادر على التصدي لاعتى الدول الاستعمارية والقوى الرجعية المحلية .

ب ـ ان خوض حرب الشعب ضد العدو الصهيوني يخلق مناخا ثوريا في المنطقة العربية كلها ، ويمنع تصفية القضية .

ج ـ ان التعبئة السياسية تساعد على تصعيد العمل المسلح وتصعيد العمل المسلح يساعد على خلق المناخ الثوري في صفوف الجماهير .

وعلى الرغم من عوامل القصور التي تعاني منها الثورة الفلسطينية سياسيا وعسكريا ، فقد خاضت معركة متواصلة خلال السنوات العشر الماضية ، مع العدو الصهيوني والقوى الرجعية العميلة والمرتبطة .

والثورة الفلسطينية مدعوة الان الى المضي قدما على طريق تجربتها في ميدان حرب الشعب لتتخلص من عوامل قصورها ، ولتزيد من قدرتها على مجابهة اعدائها : الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية والقوى الرجعية العربية العميلة والمرتبطة . كما انها مدعوة الى الانتقال النوعي من اطار ثورة فلسطينية تؤيدها الجماهير العربية الى اطار الطليعة العربية التي تقاتل على ارض فلسطين.

وهذا الانتقال على صعيد الفكر والممارسة ، تنظيميا وسياسيا ، داخل الثورة الفلسطينية وفي علاقاتها مع جماهيرها الفلسطينية والعربية ضروري لاستمرار الكفاح المسلح ولاستقطاب اوسع القوى العربية حوله ، ولجعله اكثر قدرة على مجابهة الاعداء .

ونحن اليوم نواجه مأزقا خطرا ، فاما ان يسود خط الثورة وعقلية الثورة ، او ان يسود لحين خط المساومة والمصالحة . وعلينا ان نقاتل من اجل ان يسود خط الثوره ،

خط حرب الشعب ، وتسقط سياسة المساومة والمصالحة . وهذا يقتضي أن نعمل كل وسعنا لاستمرار الكفاح المسلح ولاحباط المؤامرات التصفوية الجارية . ولهذا يجب ان تعبأ الجماهير ضد مناورات التسوية والمصالحة ، وأن تخاض المعارك لابقاء شعلة الكفاح المسلح متوهجة ، ولاسقاط التسوية وروح التسوية .

ان ما يجري الان ليس الا محاولة لضرب روح الثورة والكفاح المسلح في وطننا ، وفرض ظروف ووقائع تتيح لدولة الاحتلال الصهيوني أن تبقى قوية ، وللولايات المتحدة الاميركية أن تكسب مواقع جديده في اقتصادنا وحياتنا السياسية ، اضافة الى المواقع القديمة الموجودة ، وللقوى الرجعية والمحافظة أن تفرض سلطتها وتتحرر من كابوس الثورة الذي أخذ يهددها . والثورة الفلسطينية ، مطلوب رأسها ، الان ، لانها أطلقت شعلة الكفاح المسلح ، وخلقت مناخا ثوريا لدى جماهير عربية واسعة .

وعلينا ان نحفظ رأس الثورة الفلسطينية ، وأن نبقي شعلتها متوهجة ، لاننا بذلك نضمن وجود قاعده اساسية لحرب الشعب العربية .

٨ ــ دعوة الى حرب الشعب العربية :

ان الثوريين العرب المنتشرين في طول هذا الوطن وعرضه مطالبون اليوم أن يستعدوا لممارسة حرب الشعب، هنا مع دولة الاحتلال الصهيوني ، أو هناك ضد القوى والانظمة الرجعية العميلة التي لا توجه قواها ضد العدو الصهيوني ، بل توجهها لسحق الشعب واضطهاده . انهم بذلك يدفعون قوى الامة العربية نحو انجاز مهمات الثورة

القومية الديمقراطية الشعبية بأهدافها الآنفة الذكر. وبدون هذا الانتقال الى الممارسة يظلون على هامش التاريخ ، ينظرون ويفسرون ويبررون ، ولكنهم لا يعملون . ان عار الاحتلال الذي يدنس الارض العربية يجب أن يؤرق كل ثوري عربي وأن يحفزه الى العمل ، كما أن آلام الجوع والقهر التي تعيشها جماهيرنا يجب أن لا تغيب عن ذهن أي منا . اننا مطالبون أن نحارب الاحتلال انتقاما لكرامتنا الوطنية ، ومن أجل تحرير أرضنا ، ومطالبون أن نقاتل الجوع والفقر انتقاما لكرامة الانسان العربي المهان وفي سبيل بناء الوطن الحر المزدهر الذي نطمح للعيش فيه سادة أحرارا .

وحرب الشعب طريقنا الى تحرير أرضنا المحتلة وتحرير انساننا المذل المهان المضطهد وبناء مجتمعنا العربي الموحد المتقدم .

نحو ثورة عربية جديدة

(دراسة نشرت في مجلة قضايا عربية ، عدد نيسان — ايلول ١٩٧٦)

منذ أواخر القرن الماضي ، وقضية الثورة العربية ، مطروحة على المثقفين العرب والحركة الوطنية العربية والجماهير العربية . ولقد مرت منذ سنة ١٨٨٠ ، وحتى اليوم بالمراحل التالية :

أولا — مرحلة تلمس الهوية العربية :

وتمتد من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٩١٤ . ولقد عرفت هذه المرحلة نشوء الجمعيات الادبية والعلمية والسياسية ونمو الوعي بوجود الامة العربية وضرورة وحدتها ونما هذا الوعي وازداد بعد الثورة الدستورية سنة ١٩٠٨ . وتبلور تماما في السنوات ١٩٠٨ — ١٩١٤ . والذي يراجع أدبيات هذه الفترة يجد فكرة القومية العربية والأمة العربية أصبحت واضحة المعالم والقسمات ، محدده تحديدا لا لبس فيه ولا ابهام .

ونجد الوعي القومي في هذه المرحلة قد نما باتجاهين : الاول : تنمية الوعي القومي العام ، والثاني : تحديد دور الامة العربية ضمن أطار السلطنة العثمانية . واذا كان

المفكرون قد أكدوا وجود أمة عربية ، وحددوا ملامحها ، فانهم شددوا من الناحية السياسية على أن يكون لها دورها ضمن أطار الجامعة العثمانية . وكان ذلك يعود الى أن الامة العربية لم تستكمل أسباب استقلالها من جهة ، ولانها كانت ترى في الجامعة العثمانية وسيلتها لدرء الاخطار الاجنبية ، والانجليزية — الفرنسية خاصة .

ان الادبيات القومية في هذه المرحلة هامة جدا ، ولكنها مجهولة مع الاسف الشديد . وليس منا من يستطيع أن يقرأ اليوم أدبيات العريسي وعمر حمد وغيرهما . ولقد رافقت الدعوة الى وحده الامـــة العربيـــة دعوات الى الاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني .

ثانيا — مرحلة الثورة العربية :

كانت قد نشأت أحزاب عربية في الوطـــن والمهـــاجر والاستانة . وقد ساهمت هذه الاحزاب في النشاط الثقافي والسياسي ، فبلورت الفكر القومي العربي ، ووسعت من دائرة العمل السياسي ، وحاولت أن تتفاهم مع القـــادة الاتراك الجدد بعد الدستور لبناء الدولـــة العثمانيـــة على أسس جديدة . ولكن القادة الاتراك الجـــدد تعنتـــوا واستهتروا ، وحاولوا اذلال العـــرب واخضـــاعهم وسحق نهضتهم القومية . كان القادة الاتراك محكومين بعاملين : أولهما المحافظة على مصالح البرجوازيـــة الضيقة الافق ، وثانيهما الخوف من تفتت الامبراطورية أمام الثورات القومية الداخلية والمد الاستعماري الخارجي . وقد دفع هـــذا التعنت الحركة القومية العربية وحليفها الشريف حسين الى الاتصال بالدولتين الامبرياليتين : بريطانيا وفرنسا . وكان الشريف حسين يراهن على بريطانيا في الحصول على دولة

عربية ، في آسيا العربية ، وكان بعض المثقفين والسياسيين يراهنون على تأييد فرنسا .

وقامت الثوره سنة ١٩١٦ ، ولكن الانجليز والفرنسيين احتلوا ارض الوطن وخنقوها . وبدلا من أن يقيموا دولة عربية في اسيا العربية ، نفذوا اتفاقيـــة سايكس ــ بيكو وقسموا ارض الوطن . وما ان حلت سنة ١٩٢٠ حتى كانت دول « تنشأ » في الارض العربية المحتلة : لبنان ، سورية ، العراق ، الاردن .

لقد خسرت الحركة القومية جولتها الثانية ، اذ انهـــا كانت قد خسرت الجولة الاولى مع الاتراك . وخسرت بعد الحرب العالمية الاولى جولتها مع الدولتـــين الامبرياليتين : بريطانيا وفرنسا . ولم تكن الخساره عجبا ، فالحركـــة القومية كانت محدودة الانتشار ، والبلاد العربية كانت مـــا زالت رازحة في قيود التخلف والمهانة .

ثالثا ــ مرحلة التجزئة السياسية والخضوع السياسي :

انتهت الحرب العالمية ، واتفق الحلفاء المنتصرون على اقتسام الاسلاب والغنائم ، فأتمت اتفاقية سان ريمو مـــا جاءت به اتفاقية سايكس ــ بيكو . وجزئت اسيا العربيـــة الى الدول المذكورة آنفاً . وكانت افريقيا العربية مجـــزأه ومقتسمة من قبل . مصر والسودان لبريطانيا ، وليبيـــا لايطاليا ، تونس ، الجزائر ، المغرب لفرنسا .

وما لبث الحكم العربي بزعامة الملك فيصل الاول أن سقط ، وتشتت شمل الحركة العربية ، لتصبح قياداتهـــا موزعة بين سورية والعراق والاردن اساسا .

وبدأت المقاومة : صالح العلي يعلن الثورة في جبال العلويين سنة ١٩١٨ ، الثورة تندلع في العراق سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ : ومصر تتحرك سنة ١٩١٩ ، تحركات وانتفاضات في سورية ولبنان ١٩١٩ — ١٩٢٠ . وكانت كل أرجاء الوطن العربي قد أخذت تتحرك . وعلى الرغم من التعاطف الذي كان يبدو في كل قطر مع اية حركة في الاقطار الاخرى فان التحركات كانت « محلية » .

كانت السيطرة الامبريالية قد احكمت على كل اقطار الوطن ، وظل اليمين محاصرا ، وتابعا في القرون البائدة . وما عادت هنالك حركة عربية واحده غير احساس الجماهير بوحدتها ووحدة قضيتها . أما الاحزاب والجمعيات فتوزعت على الأقطار الجديدة .

وشهد الوطن في صراعه مع الاستعمار البريطاني والفرنسي والاسباني مرحلة جديدة من الثورات ، فهبت سورية ١٩٢٥ — ١٩٢٧ ، ثم مراكش ١٩٢٥ . وظلت الثورات والانتفاضات تتوالى : فلسطين عام ١٩٢٩ — ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ — ١٩٣٩ . سورية ١٩٤٥ ، لبنان ١٩٤٣ ، العراق ١٩٤١ . هذا بالاضافة الى الحركات السياسية الشعبية التي لم تنقطع في كل أرجاء الوطن .

وكانت هذه المطالب تنحصر في هذه المرحلة بالاستقلال ، ضمن اطار علاقات تعاهدية تقام مع الدول « المنتدبة » .

وشهدت هذه المرحلة تحركات قومية . فمن جهة تداعى الذين دعوا الى المؤتمر الاسلامي في القدس من القيادات العربية الى مؤتمر عربي سنة ١٩٣١ ، ولكن المؤتمر لم يعقد . وبدأت سنة ١٩٣٩ عصبة العمل القومي نشاطها ، وما لبث حزب البعث أن بدأ نشاطه سنة ١٩٤٢ ، وان كان مؤتمره لم يعقد الا سنة ١٩٤٧ .

كان ميلاد عصبة العمـــل القـــومي وحزب البعث الاشتراكي ثورة قومية جديـــدة . لقد بعث الفكر القومي والعمل السياسي القومي من جديد ، وبدأت ادبيات جديدة تنتشر لتساهم في خلق شخصية قوميـــة جديدة . ولكـــن انتشار الافكار القومية والعمل السياسي القومي ظل محدودا وكان هناك نشاط دائب لترسيخ التجزئة . فمن جهة كانت الطبقات الحاكمة في كل قطر تسعى لخلق شخصية سياسية وقانونية مستقلة للقطر . ومن جهة اخرى كانت الفئـــات العميلة او ذات المصلحة تسعى لخلق اتجاهات قطرية او اقليمية معادية للوحدة العربية ، مثل الفينيقية والفرعونية وما شابههما .

كان هم الاستعمار الاجنبي والقـــوى العربية الرجعية العميلة او ذات المصلحة ان ترسخ الواقع الجديد، بما ملكت ايديها .

وجاءت المؤامرة الامبرياليـــة على فلسطين ١٩١٧ ــ ١٩٤٧ لتقيم دولة جديدة ، على المنطقة الواصلة بين جناحي الوطن ، ولتكون قوه امامية للامبريالية .

رابعا : مرحلة الصدام مع الامبريالية والاحتلال الصهيوني والرجعية العربية ١٩٤٩ ــ ١٩٧٠ :

وبدأت بعد هزيمة ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ مرحلة التفجر والثورة في الوطن العربي . كانت الهزيمـــة عربية ، لان السياسة العربية دخلت معركة فلسطين . دخلتها سياسيا وعسكريا ، وليس سياسيا فقط . واتجهت النقمة الشعبية العربية نحو مقاومة القوى العربية الرجعية العميلة ايضا .

واخذت القناعـــــة تزداد انتشارا واتساعا بأن التحرر من السطيرة الامبريالية وسيطرة الرجعية المحليـــة على ارض الوطن التي لم تحتل ، هو طريق تحرير الارض المحتلـــة . ولذلك بدأت الحركة الشعبيـــــة تنمـــو وتتسع في هذين الاتجاهين .

وما لبثت سورية أن شهدت موجة من الانقلابـــــات ١٩٥٠ ــ ١٩٥٤ . ثم شهدت مصر ثورة الثالث والعشرين من يوليو وتطوراتها . وما برحت الثورة في المغرب العربي أن انفجرت : تونس ، المغرب ، ومن ثم الجزائر . ثم تحققت وحدة مصر وسوريا بعد عدوان السويس . وقامت الثورة في لبنان وشهد الاردن تحركات شعبية كبيرة وانتفاضـــات هائلة منذ سنة ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ وسنة ١٩٦٣ . ثم هبت الجماهير في العراق فأسقطت نظام نوري السعيد . وتوالت التحركات الشعبية والثوريـــة فانطلقت الثورة في جنوب اليمن سنـــة ١٩٦٠ ، ثم قامت الثـــورة الفلسطينية ١٩٦٥ .

لقد شهدت هذه المرحلة الكثير من الانتصارات . ولكنها شهدت النكسات الكبيرة أيضـــــا . فانتكست وحدة مصر وسورية ، وانتكست الثورة في العراق سنوات ١٩٥٨ ــ ١٩٦٣ . وفشلت محادثـــات الوحـــدة الثلاثيـــة بين مصر وسورية والعراق ، واشتدت الخلافات داخل الحركـــــة القومية بين الناصريين والبعثيين الى حد الصدامات ، في سوريـــة والعـــراق . وقـــام النظـــام في الاردن بضرب الثورة الفلسطينية ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ . ثم مات عبد الناصر .

ولقد حققت الفكرة القومية العربية انجازاتها الكبرى :

١ ــ انتشرت الفكرة القومية ، كما لم تنتشر من قبل ،

وقد استطاع جمال عبد الناصر أن يوصل الافكار القومية الى كل بيت بواسطة وسائل الاعلام المصرية القوية والمسموعة في كل أرجاء الوطن العربي . كما استطاع أن يكون محركا للراي العام العربي في كل أرجاء الوطن العربي وأصبحت القاهرة في عهده موقع استقطاب وتحريك .

٢ ــ ساهمت الثورات العربية المختلفة والحركات العربية الشعبية في نشر الوعي السياسي بدرجات متفاوتة واحياء الروح الشعبية العربية . كما ساهمت في تعميق مشاعر وحدة المصير العربي .

٣ ــ تحقق جلاء القوى الاستعمارية عن معظم الاراضي العربية ، وقامت دول « مستقلة » بدرجات متفاوتة مكان المستعمرات والامارات والمشيخات ، وتحققت في بعض الدول درجات من التقدم الاقتصادي بضرب طبقتي الاقطاع والكمبرادور المحليتين ومواقع الاحتكارات الاجنبية. ولقد ظلت أجزاء من الوطن العربي ترزح تحت وطأة الاحتلال المباشر : فلسطين ، سيناء ، الجولان ، عربستان ، الاسكندرون، اجزاء من المغرب، كما ظلت في الوطن العربي آثار للسيطرة الامبريالية غير المباشرة تختلف شدة وضعفا ما بين مكان وآخر ، ولكنها موجودة .

ان هذا كله جعل الوطن العربي يعيش مرحلة جديده . فهو من جهة ليس خاضعاً للاستعمار كما كان ، ولقد حقق قدرا كبيرا من الاستقلال السياسي والاقتصادي النسبي . وهو من جهة أخرى قد تحرر نسبيا من الاقطاع والكمبرادور في أجزاء واسعة من ترابه . ومع ذلك ظل الوطن عاجزا عن تحقيق المهمات الاساسية للثورة القومية الديمقراطية ،

هي تحرير الاراضي العربية المحتلة ، توحيد الوطن — سقاط بقايا الاقطاع والكمبرادور وضرب حلقات التخلف قامة السلطة الديمقراطية الشعبية .

ولكن هذه المرحلة شهدت هزيمة حزيران أولا ، ثم قبول بمشروع روجرز . وهكذا بدا أن ما تحقق من ستقلال وتقدم لا يصمد أمام مواجهة الاحتلال الصهيوني الامبريالية الاميركية .

خامسا : مرحلة التراجعات امام لامبريالية والاحتلال الصهيوني :

كان الخط العام لحركة الجماهير العربية يقوم على ثلاث ركائز : ا — النضال ضد الاحتلال الصهيوني ب — النضال ضد الاستعمار ج — النضال ضد القوى الرجعية العميلة . وعلى الرغم من الذبذبات التي شهدتها السياسة العربية ، فقد كان هذا الخط واضحا رغم التعرجات . وعلى الرغم من الهزائم والانتكاسات كان هذا الخط يزداد قوة في صفوف الجماهير . وكان الرئيس عبد الناصر قد دخل حرب حزيران ضد الاحتلال الصهيوني وحرب الجزائر ضد الرجعية المغربية وحرب اليمن ضد الرجعية السعودية . لقد استطاع جمال عبد الناصر أن يتخطى حدود مصر الى الوطن العربي كله بأفكاره وشعاراته ، كما استطاع تخطيها مبادراته . واصبحت له قاعدة جماهيرية واسعة في كل رجاء الوطن العربي .

وحين مات الرئيس جمال عبد الناصر، وخلفه الرئيس لسادات أحدث تبدلا في السياسة المصرية داخليا وخارجيا، أخذت هذه السياسة باتجاهات معاكسة . فمن سياسة

الصراع مع الاحتلال الصهيوني الى سياسة الحرب المحدود من اجل السلام ، ومن سياسة محاربة الامبريالية الى سياسة مسالمة الامبريالية ، ومن سياسة خوض المعارك مع الرجعية العربية الى سياسة التحالف الوطيد معها . وهكذا سقطت شعارات عبد الناصر الثلاثة : حرية ، اشتراكية ، وحدة ، لتحل محلها شعارات جديدة مغايرة .

وفي هذا الجو نشطت الحركات الرجعية العميلة لتصفية الثورة الفلسطينية (تموز ١٩٧١ في الاردن ، ايار ١٩٧٣ في لبنان ، نيسان ١٩٧٥ في لبنان أيضا) كما نشطت المؤامرات لتصفية الثورة في عمان ، ولضرب القوى الثورية في كل أرجاء الوطن العربي .

وشهدت هذه المرحلة تحولات باتجاه اليمين في مناطق مختلفة من الوطن العربي . كما شهدت حرب تشرين وتطوراتها ومضاعفاتها (١) .

ملاحظات :

كان النضال الشعبي قد اتسم خلال مراحله المختلفة التوجه ضد الاحتلال الاجنبي اساسا . ولقد احتل الاحتلال الصهيوني ، ومن قبل الحركة الصهيونية ، مكانا خاصا في هذا التوجه . كانت القيادات الرجعية والوطنية ، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، تطالب بالاستقلال ضمن اطار التحالف والمعاهدات مع الدول الاستعمارية . ولكن الامور اخذت بالتغير مع نهاية الحرب العالمية ، واخذت المعارضة تتسع لسياسة المعاهدات مع الدول الاجنبية ، ولسياسة القوى الرجعية الحاكمة .

---

(١) كتبت مقالين عن حرب تشرين ، فلا ارى داعيا للعودة اليها الان . نشر المقالان في كتابي : « خط النضال والقتال وخط التسوية والتصفية » دار الطليعة ١٩٧٧ .

وما ان حدثت هزيمة فلسطين حتى اصبحت القناعة تامةبأن انهاء وجود الاستعمار في أرض الوطن لا يتم الا باسقاط الفئات الحاكمة من عملائه . وبدأت حركة الانقلابات والانتفاضات . وشهدت مصر والمشرق العربي حركات تغيير كبرى الغت الاتفاقات والمعاهدات مع الدول الاجنبية وضربت الاحتكارات الاجنبية . كما ضربت سيطرة القوى الرجعية المحلية ، وطبقة الاقطاع والكمبرادور خاصة . اما في المغرب فان ثورة الجزائر استطاعت ان تنهي الوجود الاستعماري ، وان تقيم حكم البرجوازية الصغيرة ، وتمنع وصول الاقطاع والكمبرادور الى السلطة . اما في المغرب فقد توقفت الثورة لتواصل الملكية الحكم . واما في تونس فقد خرج الاستعمار الفرنسي لتحكم البرجوازية التونسية .

وكان أن تبلورت منذ سنة ١٩٤٩ شعارات : الوحدة والحرية والاشتراكية . أو بعد ذلك شعارات : الحرية ، الاشتراكية ، الوحدة ، في صلب حركة الجماهير العربية ضد الاحتلال الأجنبي والتجزئة والتخلف والاستغلال .

وكانت الجماهير ترى عودة فلسطين مرتبطة بتحرير الاجزاء العربية غير المحتلة وبتوحيدها ، وبوضع اسس التقدم السياسي والاقتصادي .

وكانت القيادات الرجعية تعمل دائما في اتجاه معاكس. فهي تعمل لضرب حركة الجماهير ، وشل ارادتها وفعاليتها . وهي تهادن الاحتلال الصهيوني والقوى الامبريالية المختلفة (بريطانيا ، فرنسا ، الولايات المتحدة الاميركية) . وهي تدافع عن مصالحها ومواقعها أمام حركة الجماهير بقوة وشراسة .

اما الاحزاب والقوى الوطنية فكانت دائما عاجزه عن التعبير عن جماع الصراع تماما . فكانت تشدد على اهمية تحرير فلسطين ، دون ان تجسد ذلك عمليا ، وتهمل ميادين النضال الاخرى. أو تشدد على قضية الوحدة وكأنها مفصولة عن الجوانب الاخرى للصراع ، او تشدد على قضية الصراع الطبقي والاجتماعي فتنسى او تهمل قضية فلسطين وقضية الوحـــدة .

وكانت بعض الفئات ، ومنها عبد الناصر ، تدعو الى وحدة الصف أمام الآحتلال الصهيوني . ولكن هذه الفئـــات كانت لا تلبث أن تكتشف ان وحدة الصف غير ممكنة ، لان الانظمة الرجعية المرتبطة بالامبريالية غير حريصة وغـــير قادرة على خوض المعركة ضـــد العـــدو الصهيونـــي . ولا حريصة حتى على وحدة الصف .

وكان واضحا من تجارب العقود الثلاثة الماضية أن تصعيد النضال ضد الاحتلال الاجنبي ، والسيطرة الامبريالية مباشرة كانت آو غير مباشرة لا يمكن ان يتم الا من خلال نمو الحركة الشعبية ، حركة الجماهير ، ومن خلال نمو الحركة المعادية للرجعية المحلية . وأثبتت وقائع العقود الثلاثـــة الماضية أيضا أن الصراع مع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية لا يمكن أن يمضي قدما من خلال الانظمة القائمة بمجموعها، واذا حدث وتقدم تحت ضغط الظروف والجماهير والاحداث العالمية فسيكون تقدمه جزئيا وجزئيا جدا . كمـــا اثبتت الوقائع ان حركة الوحدة العربية الضروريـــة ضرورة معللقة لبلوره وجود الامة العربية وتوطيد دعائم نضالها ضد الاحتلال والتخلف لا يمكن ان تتقدم من خلال « وحدة الصف » او التضامن العربي الرسمي ، وانها لا تتقدم الا من خلال

نمو الحركة الشعبية ، حركة الجماهير العربية . كما اثبتت وقائع العقود الثلاثة الماضية ان تحقيق حكم الشعب وبناء التقدم الاقتصادي والاجتماعي لا يتم بالانقلابات العسكرية و « القرارات الاشتراكية » بل يتم اساسا بنمو الحركة الشعبية، حركة الجماهير العربية، وبناء منظماتها وقواعدها الجماهيرية .

وتبقى قضية الوحدة في هذا كله قضية اساسية . ذلك ان النضال لتحرير فلسطين ولتحقيق التقدم السياسي والاجتماعي مرتبط ارتباطا وثيقا بالتقدم في تحطيم الحدود التي خطط لها الخبراء الاستعماريون واقامتها القوى الامبريالية وحمتها . ذلك أن تخبط النضال العربي ضمن اطار هذه الحواجز يجعله غير قادر على تحرير فلسطين او تحقيق التقدم السياسي والاجتماعي . وكل شعارات وحدة الصف والتضامن العربي لا تستطيع ان تكون اساسا للصراع مع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية . كما اثبتت كل الوقائع في العقود الثلاثة الماضية ، وفي السنوات الثلاث الماضية خاصة ، ما يلي :

اولا : ان لا وحدة في ظل السيطرة الامبريالية . السيطرة الامبريالية تفرق ولا توحد ، تمزق ولا تحشد . تجعل من الامة الواحدة دولا ، ومن الشعب الواحد شعوبا واما وطوائف ، ولا تساعد على وحدة الشعب الواحد . ولهذا فالنضال من اجل الوحدة معاد للسيطرة الاجنبية اطلاقا .

ثانيا : ان تحرير الارض لا يكون الا بالقتال ضد القوى الامبريالية المحتلة والمسيطرة . والنضال من اجل انهاء

سيطرة هذه القوى شرط اساسي للتحرر . ولا تحرر دون هذا النضال .

ثالثا : ان تحرير الارض المحتلة لا يتحقق الا بنضال القوى الوطنية والثورية ، ولا امكانية لتحرير الارض والاقتصاد على يد القوى الخاضعة او المرتبطة او الموالية ، مهما بلغت تناقضاتها مع الدول الامبريالية .

رابعا : ان قضية فلسطين لا توحد الدول العربية ، لانها لم توحدها منذ حوالي ستين عاما حتى وان دفعتها للتعاون بشكل جزئي مؤقت خلال فترات المجابهة العسكرية المباشرة مع دولة الاحتلال الصهيوني . ان الدول العربية رجعية ووطنية ، محافظة وتقدمية ظلت مختلفة ومتناحرة ، خلال العقود الماضية كلها ، وظلت قواها ممزقة امام نمو الحركة الصهيونية ثم الاحتلال الصهيوني . ولهذا لا يجوز ان نضيع خمسين سنة اخرى ونحن نطالبها بالوحده من اجل فلسطين شانها شأن اي قضية مصيرية اخرى ، توحد الجماهير العربية ، ولكنها لا توحد الدول العربية ، والانظمة العربية ، الا بقدر يسير امام ضغط شعبي متزايد الفعالية، وهو ما لا يغني ولا يسمن من جوع .

خامسا : وان قضية فلسطين ، لم توحد ايضا القوى الوطنية والتقدمية العربية ، ولا وحدت الاحزاب والمنظمات الشعبية في جبهة واحدة. وما زالت القوى الوطنية والتقدمية العربية مشتتة وممزقة ومتناحرة .

ولهذا كله يجب ان ينظر الى قضية تحرير فلسطين من خلال حركة تحرير الامة العربية ، حركة تحررها ووحدتها وتقدمها ، اي من خلال ثورتها القومية الديمقراطية الشعبية

وهذه الثورة تقوم على ضرب ركائز الهزيمة الثلاث: الاحتلال والسيطرة الامبريالية ، التجزئة ، التخلف .

قضية الوحدة من جديد :

اننا بحاجة الى ثورة قومية جديدة ، لقد كانت ثورتنا القومية الاولى من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٨ ، وثورتنا القومية الثانية من سنة ١٩٤٧ الى سنة ١٩٦٧ . اما الثورة الثالثة فلم تبدأ بعد. وهذه الثورة القومية لا بد من ان تشدد على النقاط التالية :

١ ــ وحدة الامة العربية ، فلقد ضاع موضوع الوحدة في زحمة الاحداث والشعارات . واختفت الادبيات القومية من الاسواق والصحف عموما الا القليل ، وأخذت تنمو بعض الاتجاهات التي تتحدث عن التضامن العربي بدلا من ان تتحدث عن الوحدة، وتعتبره من سمات النضال العربي علي اساس ان هناك دولا عربية . كما اخذت تنمو اتجاهات « اقتصادية » لا ترى من صراع الامة العربية المصيري الا بعض الصراعات الطبقية . وأخذت معظم الحركات السياسية تتصرف بمنطق قطري ، نظريا وعمليا ، حتى عندما تطرح موضوعات وحدة الأمة العربية .

ان هذا كله لا يحقق وحدة . والوحدة لا تتحقق عفوا، ولذلك لا بد من ان تكون ركيزة اساسية من ركائز الثورة ، يتم النضال من اجلها نظريا وعمليا ، والمعركة دائرة ضد العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية .

وهذا يتطلب ان تظل قضية الوحدة العربية ركيزة اساسية من ركائز برنامج الثورة ، وان يتم النضال من اجلها دائما ، خلال المعركة الطاحنة ضد العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية . ولا يجوز ان تعتبر هدفا غير اساسي ، او مؤجلا، وان اعطيت الاولية لتحرير الاراضي المحتلة ، نظريا وعمليا .

وعلينا أن نعيد قضية الوحدة الى مكانها المناسب في مجرى نضالنا . وهذا يقتضي التشديد عليها من حيث هي شعار ، وتحديد مضمونها السياسي وموقفها من برنامج الثورة واعطاءها الحيز الذي تستحق في برنامج المهمات اليومية ، وهذا يعني ان تأخذ مكانها من حيث هي شعار وموقف ومهمات عملية .

وهذا يتطلب أيضا ما يلي :

١ ــ توسيع التثقيف بقضية الوحدة وتعميقه .

٢ ــ نشر الادبيات القومية وتعميمها .

٣ ــ التأريخ لنشوء الفكرة القومية العربية الحديثة، وتحديد معالم تطورها ومراحلها والتعريف باشهر مفكريها وروادها .

٤ ــ كشف الاتجاهات المعادية للوحدة ودحضها وتبيان مخاطرها .

ولكن المطلوب فوق هذا كله ، وقبل هذا كله ، ان تنشأ قوة شعبية محرضة ومعبئة ومناضلة من اجل الوحدة ، تستطيع أن تحشد حولها أوسع قطاعات الجماهير

وقواها الوطنية في جبهة قومية متحـــدة . ان وجـــود هذه القوة ضروري ولازم . وهذه القوة لا بد من أن يتوافر لها ما يلـــي :

١ ــ برنامج سياســـي قومـــي ، معنـــي بالقضايا المصيرية : تحرير الارض ، الوحـــدة ، التقـــدم الاقتصادي والاجتماعي ، اي محاربة الاحتـــلال والسيطـــرة الامبريالية والتجزئة والتخلف والاستغلال .

٢ ــ ان يكون هذا البرنامج برنامجا نضاليـــا لكـــل الوطن العربي ، كل جماهيره وقواه الطليعيـــة والوطنيـــة والتقدمية ، وليس لفئة او شرذمة .

٣ ــ ان يكون برنامج تحالف شعبي لكـــل الفئـــات والطبقات ذات المصلحة في التحرير والوحدة والتقدم .

وهذا البرنامج يجب أن ينطلق من الموضوعة التالية: الامة العربية امة واحدة والوطن العربي واحد، ومن المهمات الاساسية للقوى الثوريـــة والوطنيـــة العربيـــة ان تسقط الحدود المصطنعة والقوى المعادية للوحدة . وهـــذا يقتضي تعبئة الجماهير العربية وتنظيمها في كل قطر لتسقط الحدود والقوى المعادية للوحدة ، كما يقتضي نشوء قوة تلعب دورا فعالا في تغذية حركة الجماهير وحمايتها . وهذه القوة يجب ان تبني ذاتها على اساس المشاركة السياسية والعسكريـــة الفعالة في اجتياح الحدود واسقاط الانظمة بالتعاون والتفاعل مع حركة الجماهير في كـــل قطـــر ، وفي الاقطـــار العربية عمومـــا .

وهذا يتطلب ان تخضع اية دعوة للتعاون والتضامن الرسمي العربي لهذه الموضوعة، وان تأخذها بعين الاعتبار.

ذلك اننا لسنا مجموعة دول لامم مختلفة مطلـــوب منها ان تتضامن ، بل نحن شعب واحد فرض عليه الاحتلال والقوى الرجعية المحلية دولا مختلفة . ان التضامن الذي يغفل اننا شعب واحد ، واننا نعمل للوحدة العربية ولاسقاط الانظمة الرجعية والقوى المعارضة لبرنامج التحرير او الوحـــدة او التقدم يكرس التجزئة ويدعم بقاء القوى الرجعية الحاكمة، وهو تضامن ضار ، معاد لطامح امتنا . وعليـــه فـــان الوجه الرئيسي لنضالنا ليس الدفاع عن التضامن العربي الرسمي، ولا التعبئة باتجاهه وتأكيد اهميته ، بل التعبئة باتجاه الثورة الشعبية ضد الاحتلال والتجزئة والتخلف، ومن اجل التحرير والوحدة والتقدم . نؤكد ذلك لاننا نرى ان التركيز على طرح شعار التضامن العربي مقرونا بالحديث عن تحرير فلسطين يوقعنا في عدد من الملابسات. واول هذه الملابسات ان قضية التضامن تصبح بديلا عن قضية الوحدة وثاني هذه الملابسات ان تحرير فلسطين يصبح من مهمات الانظمة القائمة. وثالث هذه الملابسات ان النضال من اجل الوحدة او الصـــراع السياسي والاجتماعي ، في اي قطر عربي ، يصبـــح نضالا غير مشروع . ورابع هذه الملابسات ان النضال ضد الانظمة الرجعية العربية يصبح خرقا لموضوعات التضامن العربي ، ولاولوية قضية تحرير فلسطين . وخامس هذه الملابســـات التشويش الذي يصيب مفهوم الجبهة القومية المتحدة ، اذ يصبح التضامن الرسمي العربي عند بعضهم الشكل الخاص للجبهة القومية المتحدة في المرحلة التـــي يعيشـــها الوطن العربي .

ثم ان فهم اولوية تحرير فلسطين فهما جامدا ومبتذلا ، أي اعتبار الوحدة والتقدم وبناء الســلطـــة الديمقراطيـــة الشعبية امورا مؤجلة حتى يتم تحرير فلسطـــين ، لا يصح

التطرق لها والتقدم على طريق انجازها، يفصل قضية تحرير فلسطين عن مناهضة السيطرة الامبريالية الاميركية والرجعيات العربية المرتبطة او العميلة ، وعن حركة ضرب حلقات التجزئة والتخلف والاستغلال ، ويعزل ، بالتالي ، قضية فلسطين ، عن حركة الجماهير العربية ، وحركة الثورة العربية ، ويربطها بسياسة الانظمةوالواقع الرسمي العربي . وهو يبالغ في اعطائها الاهمية من الناحية النظرية ، ولكنه لا يعطيها شيئا مما تستحق في الواقع ، لانه يوكل امرها للواقع العربي الرسمي فعليا ، والجماهير اسميا . ثم ان اعتبار قضية فلسطين فوق كل القضايا ، والاصرار على عدم طرح القضايا المصيرية الاخرى كالوحدة والتقدم ، واتخاذ موقف سلبي من كل قوة ترفع اي مطلب غير تحرير فلسطين وتسخيف أية حركة غير النضال لتحرير فلسطين يسخف القضايا المصيرية ، ويحرمها من النضال الجماهيري اللازم لتحقيقها . .مع ان النضال من اجلها ، اذا ما تم بالاشكال الصحيحة وضمن الخط السياسي الصحيح ، يدفع النضال من اجل تحرير فلسطين قدما .

ولهذا فاننا نرى ان قضية تحرير فلسطين على رأس مهمات حركة الثورة العربية ، لا على رأس مهمات الانظمة العربية ، وان تحرير فلسطين لا يتم بالتضامن العربي الرسمي حاليا ، بل من خلال حركة الجماهير العربية أساسا لاسقاط الواقع العربي بتفككه وتضامنه ، كما أن تحرير فلسطين لن يتم قبل ان تسقط انظمة وعروش ، ويطّرد نمو الحركة الشعبية العربية ، لتكون قادرة على تخطي واقع السياسة العربية الرسمية . ان الواقع العربي الذي سمح بوجود الاحتلال الصهيوني سنة ١٩٤٨ ، والذي عجز عن الوقوف في طريق توسعه سنة ١٩٦٧ لابد من ان

يتساقط منه ما يسمح بتطور حركة تحرير الوطن وتوحيده. ان الثورة القومية العربية الجديدة لا بد من ان تأخذ ذلك كله بعين الاعتبار، فهي تقاتل من اجل تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة، كما تقاتل من اجل الوحدة والتقدم. انها تعتبر ذلك معركة واحدة. ولذلك فالثورة القومية الجديدة ثورة الجماهير الشعبية، وقواها الطليعية والوطنية والثورية ضد القوى الرجعية العميلة والمعادية لحركة التحرير والوحدة والتقدم.

والثورة القومية الجديدة استمرار للثورتين السابقتين، ولكنها تجاوز لهما في الوقت ذاته. لقد خسرت الثورة الاولى الجولة، لان ظروفها الذاتية والموضوعية لم تكن ناضجة، ولانها وضعت يدها في يد قوة رجعية عربية من جهة (الشريف حسين) واليد الاخرى في يد الامبريالية البريطانية. ثم انها لم تكن تملك القوة المحرضة والمحركة ولا المنظمات الجماهيرية الواسعة. وخسرت الحركة القومية الثانية الجولة لانها افتقدت التنظيم الطليعي والقوى الجماهيرية المنظمة والجبهة القومية المتحدة. وعلى هذا فعلى الثورة ان تتعلم من التجربتين السابقتين. انها بحاجة الى التنظيم القائد والمحرض والمعبىء اولا، وبحاجة الى الجبهة القومية المتحدة ثانيا، وبحاجة الى جيش الشعب ثالثا.

فلسطين وقضية الوحدة :

منذ كانت لفلسطين قضية والرؤساء والطبقات العربية الحاكمة تقمع باسم فلسطين، وتستغل باسم فلسطين، وتعطل كل تقدم باسم توجيه الجهود نحو فلسطين. ومنذ ذلك الحين والجهود الحقيقية لا توظف في

ميادينها . ولقد كانت الطبقات الحاكمة ، قبل الخامس عشر من أيار سنة ١٩٤٨ ، تطمئن الجماهير اعتمادا على حسن نوايا الحليفة والصديقة بريطانيا . ولكنها في الوقت عينه تمنع اي حشد ، وتقمع اية حركة تعادي الحركة الصهيونية والاحتلال الاجنبي ، وتطالب بتحقيق اهداف الشعب .

ومنذ الخامس عشر من ايار سنة ١٩٤٨ ، اتجهت الطبقات الحاكمة الى المزيد من القمع نتيجة التحركات والانتفاضات الشعبية التي اخذت تنطلق . وسقطت انظمة وقامت انظمة ، ولكن الاستعداد للحرب ظل محدودا بالحدود التالية :

أ ــ حدود الاقطار ، فقد ظل الاستعداد قطريا ، ولم يتحول الى حشد قومي .

ب ــ حدود الاضطرار للدفاع ، فقد نمت سورية ومصر قواتهما مثلا ، لانهما على حدود المواجهة ، ولم تنم معظم القوى العربية الاخرى قدراتها ، خارج اطار تنمية قوة قمع داخلية .

ج ــ حدود قدرات النظام ، لان تنمية القوى ظلت قاصرة ، وظل كل قطر عاجزا وحده ، حتى عن الدفاع عن حدوده .

د ــ حدود استعداد النظام للصدام : وكان كل نظام يحسب مدى استعداده للصدام مع الاحتلال الصهيوني والامبريالية ويبني قواته على هذا الاساس . ولم يكن هذا الاستعداد كبيرا وكذلك القوى التي تعد صغيرة نسبيا .

ولهذا كله لم تحشد قوى الشعب ولم تنظم ، لان مشاركة الشعب فعليا في المعركة تغير طبيعة المعركة .

ولهذا كله لم يتم تحرير فلسطين حتى الان ، وما زالت هناك اراض عربية محتلة واسعة يسيطر عليها العدو .

ومع ذلك ما زالت الدول العربية غير متحدة بأي شكل من الاشكال . وما زال الصراع قائما بين كل الانظمة بغض النظر عن هوياتها ، وهو يتغير ويتبدل باستمرار ، ولكن ليس هناك اساس للتعاون حتى الان ، وحتى فلسطين وقضيتها وثورتها لم تستطع ان تجمع فعليا نظامي « تقدميين » معا . اما الانظمة الرجعية فلا تجتمع الا على سحق حركة المقاومة الفلسطينية وقوى حركة التحرر الوطني العربية . واذا اضطرت ان تؤيد حربا ضد الاحتلال الصهيوني نتيجة موقف جماهيرها، فلكي تدخل حلبة الصراع وتغير مجراه .

ونحن بالطبع نريد اتحادا من اجل فلسطين ، ولكننا نرفض ان يكون اتحادا اسميا ، ولا نقبله دعاوى خداعة . اننا نريده اتحادا فعليا .

ونحن نريده اتحادا من اجل فلسطين ، ولكننا نرفض ان يكون اتحادا باسم فلسطين لقمع القوى الشعبية العربية وضربها ، لان فلسطين لا تتحرر بقمع القوى الشعبية ، بل باطلاق قواها وطاقاتها .

ثم اننا نعتبر وحدة القوى الشعبية ، الحركة الشعبية العربية هي الاساس لتحرير فلسطين ، وليس وحدة الانظمة ، والانظمة الرجعية و « التقدمية » عموما . ومن هنا فنحن نطالب هذه القوى ان تتحد ، ونناضل لوحدتها وعندما نقول نناضل ، فلاننا نعرف ان هذه الوحدة لا تقبلها معظم الانظمة القائمة ولذلك فاننا نطالب بمباشرة الصراع

تحقيق وحدة الحركة الشعبية العربية ، ومن خلال الصراع مع الانظمة القائمة التي تقمع حركة الجماهير . ونعتبر ذلك الصراع الحقيقي من أجل فلسطين ، لان فلسطين لن تتحرر الا بحشود الجماهير العربية . كما اثبتت كل الوقائع حتى اليوم .

وهذا الصراع لن تكون فلسطين كل قضيته : لانه صراع من اجل فلسطين والاراضي العربية المحتلة ، وصراع من اجل تحرير الوطن من السيطره السياسية والاقتصادية غير المباشرة ، وصراع من اجل بناء وحده الوطن وتحقيق تقدمه، وصراع من اجل اقامة السلطة الديمقراطية الشعبية واسقاط الانظمة الرجعية المتخلفة والبنى السياسية والاقتصادية الموروثة منأيام الاحتلال البريطاني والفرنسي، وحتى العثماني . انه صراع الجماهير الشعبية من اجل قضية حياتها وحريتها ، وفلسطين جزء من هذا الصراع ، وليست الصراع كله . والذين يصارعون حقا من اجل فلسطين هم الذين يصارعون من اجل حرية الوطن العربي وحياته . اما الذين يقاتلون للدفاع عن مصالحهم وعروشهم وقصورهم فلن يدافعوا عن فلسطين، ولن يقاتلوا من اجلها، لان القتال من اجلها يكلفهم غاليا ، يكلفهم : راحتهم وسلامتهم وعروشهم وقصورهم ومصالحهم .

والصراع من اجل فلسطين بحاجة الى حشد قوى الشعب كلها ، واشراك الجماهير فعليا في القتال من اجل الوطن . والانظمة التي تفعل ذلك هي الانظمة التي تثق بالجماهير ، وتمثل قواها الطليعية والثورية والوطنية . اما الانظمة التي تقوم على القمع وتسحق الجماهير ، فلا تستطيع القيام بهذه المهمة .

وفوق ذلك فان اي نظام يقاتل من اجل فلسطين ، لا بد من ان يكون منطلقا في قتاله من وحدة القضية العربية . ولهذا فهو يقاتل من اجل فلسطين ، وعليه فان القتال من اجل الوحدة العربية عموما ليس خارج برنامجه ، حتى وهو يقاتل من اجل فلسطين . بل ان القتال من اجل الوحدة لا بد أن يكون من مهماته الاساسية ، وهو يقاتل لتحرير فلسطين .

ومن هنا يتداخل الصراع على هاتين الجبهتين: معارك مع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية لتحقيق الوحدة ، ومعارك لتحقيق الوحدة من اجل الصراع مع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية . وسيتداخل هذا الصراع كما يتداخل الصراع على جبهة اخرى ، هي جبهة الصراع ضد القوى الرجعية والتخلف والاستبداد والقمع . وطبيعة المعركة هذه ستجعل « موضوعات التضامن العربي » المطروحة موضوعات معادية للنضال في سبيل فلسطين والوحدة والتقدم . كما ان الموضوعات المطروحة التي تعتبر ان صراعنا قائم مع العدو الصهيوني فقط موضوعات تطالب بتجميد الصراع على كل الجبهات المذكورة آنفاً ، وبالتالي على الجبهة الفلسطينية ، لان محصلة صراعات الوضع العربي الرسمي القائم ، لا تقود الى تحرير فلسطين ، ولان اية جبهة تجمع الاوضاع الرسمية القائمة اذا ما تحققت وهذا بعيد المنال لا تقاتل من اجل فلسطين ، ولان الذين يتحدثون عن تضامن عربي رسمي لتحرير فلسطين ، تشارك فيه الانظمة جميعا ، يدفعون الى تجميد معركة فلسطين ، والى تجميد الصراع العربي من أجل الوحدة والتقدم .

ونحن نطرح في مقابل ذلك : الحركة الشعبية العربية ، حركة الجماهير العربية على اساس برنامج الصراع مع

العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والتجزئة والتخلف. ونطرح القتال على هذه الجبهات الثلاث : وعلى هذه الجبهات الثلاث معا ، ونرى الا مجال لتحرير فلسطين بدون هذا الصراع المثلث الرؤوس .

ونحن هنا بالطبع لا نتحدث عن قضايا الاستراتيجية والتكتيك ، لانها ليست موضوع هذه المقالة . ونؤكد ذلك ، لان بعض المنظرين مسخوا قضية فلسطين وقضايا الثورة العربية ، وتحولوا الى معسكر الردة باسم قضايا الاستراتيجية والتكتيك ، وباسم ضرورة التحالفات الواسعة لمواجهة العدو الرئيسي . ولذلك فنحن هنا نطرح القضية المبدئية اولا ، لنوضحها من جهة ، ولنكشف اطروحات الانتهازيين والمرتدين والاستسلاميين والتصفويين وندحضها . لكننا نعرف كيف يتم تطبيق هذه الاطروحات في كل مرحلة ، وعلى كل جبهة .

ويهمنا ان نؤكد اخيرا ، ان قضية فلسطين العزيزة على قلوبنا ، والعزيزة جدا ، والتي تستحق حشد كل القوى والجهود ، ليست القضية الوحيدة للنضال العربي ، وانها من بعض قضاياه الاساسية ، وعلى راسها . وانها ليست مفصولة عن الصراع العربي العام في سبيل التحرر والوحدة والتقدم . والذين يريدون فصلها وعزلها ، ووضعها في حجر الانظمة ، هم الذين يريدون قتلها . أما نحن فنعمل لتظل قضية الجماهير العربية ، وقضية حركتها الثورية . وهذا هو مكانها الطبيعي ، وهذا هو طريق تحريرها .

ونحن لذلك لا نطرحها بديلا لكل النضال العربي ، وكل قضاياه ، ولا نرى ان التركيز على حشد القوى من اجل فلسطين يقود حتما وعفوا الى تحرير كل الوطن العربي

وتوحيده . ان حركة تحرير الوطن وتوحيده هي حركة تحرير فلسطين، وليس العكس . ذلك أن الدعوات الخيالية لتحرير فلسطين بحشد القوى العربية ، واعطاء الاولية المطلقة لفلسطين ، وجعل قضية فلسطين فوق الخلافات العربية والصراعات العربية لا يقود الى تحرير فلسطين ، والى تحرير الوطن العربي . اما حركة النضال لتحرير الوطن العربي وتوحيده ، فانها تقود حتما الى تحرير كل الوطن ومنه فلسطين ، والى توحيد كل الوطن ومنه فلسطين .

آن لنا ان نسقط التقلب وضيق الافق :

آن لنا ان نثبت على اساس ، ان نوقف التقلب ، من فلسطين طريق الوحدة الى الوحدة طريق فلسطين ، ومن فلسطين فوق الخلافات والصراعات الى فلسطين في خضم الصراعات . ومن فلسطين اولا الى الوحدة أولا ، وفلسطين او الصراع الطبقي . ان فلسطين ليست بديلا للوحدة ، ولا هي طريقها عفويا وآليا ، ولا هي بديل للصراعات الطبقية ولا هي فوقها . ولقد كلفتنا هذه التقلبات من اتجاه الى اتجاه كثيرا من الجهود والتضحيات والاشكالات دون ان تؤدي الى مردود يستحق الذكر . اننا مطالبون الان ان نسقط موضوعات الانظمة التي تطرح اسم فلسطين وقضيتها لتتهرب من الحرب ، ولتظل مستغلة وظالمة ومتحكمة . ولهذه الانظمة والقوى الرجعية نقول : تحرير فلسطين مهمة الحركة الشعبية ، حركة الجماهير العربية في صراعها لتحررها ووحدتها وتقدمها . اما المنظرون الذين يضربون مرة ذات اليسار ومرة ذات اليمين ، والذين يؤلهون فلسطين مرة فيجعلونها الاله الواحد للنضال العربي ، ثم ما يلبثون

ان يرتدوا الى آلهة اخرى ، فاننا نقول لـهم ، ان فلسطين وان استحقت الاولوية ، بعض قضية الصراع ضد الاحتلال والسيطرة الامبريالية والتجزئة والتخلف ، وتحريرها مهمة الحركة الشعبية الان اولا واساسا ، وهذه الحركـة هـي حركة التحرر والوحدة والتقدم .

وتحرير فلسطين قد يحتاج خمس سنوات أو عشرا أو خمسة عشر عاما ، ولا يجوز أن تقف عجلة النضال العربي حتى تتحرر فلسطين . ثم ان وقوف عجلة النضال العربـي أو قصرها على قضية تحرير فلسطين لا يخـدم النضـال لتحرير فلسطين . ان التقـدم السياسـي والاقتصـادي والاجتماعي الذي تحققه قوى الثورة العربية ضمن اطـار استراتيجية عربية ثورية شاملة يدفع حركة تحرير فلسطين قدمـا .

وعلى هذه الجبهات الثلاث سنخوض الصراع ، لاننا بذلك فقط نسير على طريق الخلاص . وليكن ذلك بدايـة الثورة القومية الشعبية الجديدة التي نريد .

وهذا يقتضي منا أن نشدد على أهمية الحقائق التالية:

اولا : ان الجبهة التي ندعو لها هـي جبهـة القوى العربية الثورية والوطنية والتقدمية . ولا مكان للقـوى الرجعية العميلة والاستسلامية والمعادية للوحـدة العربية ولحركة التقدم في هذه الجبهة .

ثانيا : ان هذه الجبهة عربيـة ، تقاتـل ضـد العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العميلة والمعادية ، وهي لذلك تعتمد على كل الجماهيـر العربيـة والقوى العربية المناضلـة ، بغض النظـر عـن التقسيم

الجغرافي الذي وضعه المخططون الامبرياليون ونفذته القوات الامبريالية ، ولا تقيم من الناحية المبدئية وليس من الناحية التكتيكية اي اعتبار لكل الاوضاع التي خلفها الاستعماريون وادواتهم من القوى الرجعية العربية .

ثالثا : ان هذه الجبهة تعتبر تحرير فلسطين مهمة قومية اساسية للجماهير العربية ولقواها الوطنية ، وان هذه المهمة واحدة من مهمات اساسية مترابطة لحركة النضال العربي كله ، وليس للانظمة الرجعية المتخاذلة والقوى المساومة .

رابعا : ان الجبهة الواسعة العريضة التي ندعو لها هي جبهة الجماهير الوطنية وطلائعها الثورية، والقوى الوطنية المتحالفة معها في صراعها ضد الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العميلة او المرتبطة .

خامسا : ان هذه الجبهة ترى ان تطور النضال العربي في اي قطر ، او مجموعة اقطار يخدم تصاعد النضال ضد الاحتلال الصهيوني ، ولذلك فانها تعمل لتطوير النضال العربي في كل جزء من الوطن العربي ، ليكون قادرا على تحمل اعباء الصراع مع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية ، وهذا يتطلب اسقاط القوى الرجعية العميلة والمعادية لحركة الوحدة والتقدم وتحرير فلسطين ، واقامة السلطة الديمقراطية الشعبية في المناطق المحررة ، وتوحيد الاجزاء التي يمكن توحيدها .

سادسا : ان هذه الجبهة حددت معسكر قواها وحلفائها بكل القوى الثورية والوطنية المناضلة من اجل تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة ، وتحقيق الوحدة

التقدم واقامة السلطة الشعبية العربية ، ومعسكر اعدائها الاساسيين بالاحتلال الصهيوني ، والامبريالية الاميركية القوى الرجعية العميلة والمعادية لهذه الاهداف .

خاتمـــة :

ان الارض العربية حبلى بالثـورة . ولقـد نضجت الظروف الموضوعية والذاتية كما لم تنضج مـن قبل . ان الوعي بضرورة التغيير يزداد عمقا واتساعا ، والخبـرات التي اكتسبتها قوى الثورة خلال العقـود الثلاثـة الماضية خبرات هامة . اما الانظمة والقوى الرجعية في وطننا فانها تزداد ضعفا وارتباكا . ذلك ان العوامل التـي كانت تستند اليها اخذت تضعف وتتهـاوى واحـدا بعـد الاخـر . انّ الامبريالية التي كانت تسند الانظمة والقوى الرجعية المحلية اخذة في التدهور والاضمحلال . كما ان تماسـك الانظمة والقوى الرجعية آخذ في الاهتزاز ، نتيجة الوعي العام الذي تقدم بخطى حثيثة في الوطن العربي ، وبسبب عجـز هذه الانظمة والقوى عن حل الاشكالات الاساسية التي تواجهها الجماهير ، بدءا من الاحتلال والسيطرة الخارجية وانتهاء بقضايا التخلف والتنمية . ولقـد كـان وجـود الاحتـلال الصهيوني وتوسعه احسن محك لهـذه الانظمـة والقوى الرجعية ، وما زال كذلك .

ان رياح الثورة تتجمع في كل اركان الارض العربية ، وعلى القوى الثورية ان تطلق الشرارة ، وتوجـه مسـيرة الثورة الجديدة ، الثورة القومية الشعبية ، ثـورة الملايين المائة والخمسين الذين يتحرقون من المحيط الى الخليج .

الصراع سوف يستمر

(تقرير اعد لمؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، المنعقد ما بين الرابع والعاشر من آذار ١٩٧٧)

— ١ —

منذ نهاية القرن الماضي والشعب الفلسطيني يقاتل . ولقد ظل صامدا رغم المؤامرات الكثيرة التي واجهها . وهو اليوم يقاتل ، ويواجه مؤامرات جديدة وكبيرة .

وعلى الرغم من ان الاستعمار المباشر قد رحل عن معظم بقاع العالم ، فان الاستيطان الاستعماري ما زال يرزح بكلكله على ارض فلسطين كلها ، ويمد اجنحته على الجولان وسيناء . وما زال الشعب الفلسطيني خاضعا لسلطة استعمارية غاشمة ، او مشردا في كل انحاء الارض. ومع ذلك فما زال الشعب الفلسطيني يقاتل، يحاصر فيقاتل، ويشرد فيقاتل ، وتتألب قوى القمع لالغاء هويته الوطنية فيتحدى . انه يعلن بذلك كله انه لا يخضع ولا يهون ، ولا يرضى عن ارض الوطن والكرامة الوطنية والاستقلال الوطني بديلا .

ومنذ ان كان الاستيطان الصهيوني مستعمرة ضعيفة حتى غدا دولة قوية وموقف شعبنا واحد : مقاومة الاحتلال ورفض الخضوع له ، والنضال من اجل حرية الارض والمحافظة على الوطن . لم يتردد شعبنا ولم يهن . كان صلبا دائما وثابتا دائما .

ولقد طرحت عليه مشاريع قيام الكيان الصهيوني بأشكال مختلفة مغلفة باغراءات متعددة ، ومع ذلك فان شعبنا تمسك بارض الوطن .

وعلى هذه الطريق سارت قوافل المناضلين وكواكب الشهداء ، وظلت الدماء الزكية عربون العلاقة الحميمة مع الارض والاخلاص النبيل للوطن .

ومنذ نهاية القرن الماضي ، وشعبنا يعيش مفارقة هذا الصراع . فهو من جهة ، يعيش مع جماهير الامة العربية تباشير النهضة ، ويحلم بانجازاتها وانتصاراتها . وهو من جهة اخرى يواجه قوى القمع والاضطهاد والاحتلال .

كانت الامبراطورية العثمانية تتساقط مع نهاية القرن الماضي تحت ضغط ضربات الدول الاستعمارية من جهة ، وتحت ضربات شعوبها الخاضعة من جهة اخرى . وكانت جماهير الامة العربية ، ومنها جماهير الشعب الفلسطيني ، تناضل لانهاء الكابوس العثماني واقامة دولة عربية مستقلة .

وكانت الدول الاستعمارية تعمل للسيطرة على أرض الوطن العربي واقتسام أرضه وشعبه ، وزرعه بالمستوطنات وايقاظ الفتن الطائفية والاثنية فيه .

وفي الوقت الذي كان فيه الاستعمار الفرنسي يحتل الجزائر سنة ١٨٣٠ . ويبدأ سياسة استيطان فيها ، كان ساسة بريطانيا يفكرون باقامة تجمع صهيوني في فلسطين .

ولقد كان شعبنا مطالبا أن يصارع على ثلاث جبهات. فمن جهة كان عليه أن يصارع الطغيان العثماني ، ومن جهة أخرى كان عليه أن يحارب مشروع اقامة دولة صهيونية في فلسطين . وكان عليه من جهة ثالثة أن يقاوم فكرة حلول الاستعمار الغربي الجديد محل الاستعمار العثماني القديم .

ولذلك خاض شعبنا معاركه على هذه الجبهات ، فناضل ضد العثمانيين ، وضد سياسة فتح الابواب للاستيطان اولا . وظل يناضل على هذه الجبهة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى وسقوط الدولة العثمانية . وقدم في سبيل ذلك تضحيات كبرى ، وأعدم العثمانيون بعض قادته من بين من أعدموا من القادة العرب سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ .

وواصل شعبنا ، بعد الحرب العالمية الاولى نضاله ضد الاحتلال البريطاني ، وضد سياسته في فتح الابواب أمام الاستيطان الصهيوني . وظل يقاتل منذ سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ .

كان نضاله كبيرا وعظيما . المظاهرات والاضرابات لم تنقطع . الانتفاضات لم تتوقف والثورات ظلت متواصلة .

وهناك سنوات نضال عظيمة تستحق أن نقف عندها باحتـــرام : سنوات ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ .

— ٢ —

ولقد مر نضال الشعب الفلسطيني بالمراحل الاربـــع التاليـــة :

المرحلة الاولى ، ١٨٩٨ — ١٩١٧ : ولقد ناضـــل شعبنا خلال هذه المرحلة ضد الاحتلال العثماني الذي كان في حالة النزع الاخير ، ولكنه كان قاسيا وشرسا . حاول شعبنا أن يؤكد هويته القومية وأن يحقق استقلاله الوطني ضمن اطار النضال العربي العام ضد السيطرة العثمانية . كانت شعاراته هي شعارات هذا النضال التي ظلت حتى سنة ١٩١٦ تتلخص بنيل العرب حقوقهم القوميـــة ضمن اطار نظام عثماني لا مركزي . وجاءت انتفاضة سنة ١٩٠٨ لتعزز هذه الامال . ولكن شراسة الاتراك في معالجة هذه القضايا قادت الى صراعات وصدامات أدت الى شعـــور العرب بضرورة الخروج على الجامعة العثمانية . ولذلك كانت ثورة سنة ١٩١٦ التي قادها الشريف حسين ، شريف مكة بالتفاهم مع الاستعمار البريطاني ، والتي شاركت فيها جماعات من المشرق العربي ، ومنها فلسطين .

ولكن شعبنا واجه في هذه المرحلة تبلور الخطـــة الصهيونية للاستيطان في فلسطين . فقد أعلن المؤتمـــر الصهيوني في بال سنـــة ١٨٩٧ بيانـــه الشهير ، وتواترت الاحاديث عن اقامة دولة يهوديـــة في فلسطـــين . وكان الاستيطان الصهيوني في فلسطين قبل ذلك يثير استهجـــان

اهل البلاد ونقمتهم ، ولكنه لم يكن مطروحا باعتباره مشروعا سياسيا . ولم يكن الوعي العربي قد نما بما فيه الكفاية ليكتشف ابعاده . اما فيما بعد ، ومنذ سنة ١٨٩٨ تحديدا ، فقد بدأ شعبنا يعي حقيقة ما يدبر . ولذلك اتجه الى مقاومة سيل الهجرة المتدفق الى فلسطين . واتخذ نضاله في هذه المرحلة اساسا شكل الضغط على السلطنة العثمانية لمنع الهجرة وبيع الاراضي ، كما اتجه الى تعبئة الجماهير العربية ضد الخطر المحدق ، ومطالبتها بالوقوف في وجهه ، باعتباره خطرا على الوطن وعلى الشعب .

وكان هذا النضال كما تجمع كل الوثائق ضد اقامة دولة صهيونية في فلسطين لا ضد اليهود .

وبات شعبنا يرى ، مع بداية العقد الثاني من هذا القرن أن سقوط الامبراطورية العثمانية وتحقيق الاستقلال الوطني العربي هو ضمانة احباط مشاريع الاستيطان . ولذلك شارك في كل النضالات التي خاضتها الطلائع العربية ضد السيطرة العثمانية ، في سبيل الوحدة العربية والاستقلال الوطني .

لقد انتهت هذه المرحلة بغزو القوات الانجليزية الفرنسية سوريا ولبنان وفلسطين والعراق وبدء عهد جديد .

المرحلة الثانية ١٩١٧ ــ ١٩٤٧ : كانت هذه المرحلة مرحلة النضال ضد العدو المزدوج ، الاحتلال البريطاني والاستيطان الصهيوني . وكان الاحتلال البريطاني هو العدو الرئيسي ، ولكن الحركة الصهيونية وحركة الاستيطان لم تكن منفصلة عن وجوده . ولذلك خاضت

جماهيرنا النضال ضد هذا العدو المزدوج . وكانت تزيد من تركيزها حينا على الاحتلال البريطاني ، بينما تنهمك في مقاومة حركة الاستيطان حينا آخر . ومع ذلك خاضت معارك باسلة على الجبهتين ، وفي معظم الاحيان في وقت معا .

وكانت هذه المرحلة مرحلة الاضرابات والانتفاضات والثورات . واتخذ النضال الوطني اشكالا متعددة اهمها :

أ ـ الصراع ضد الاحتلال من خلال المظاهرات والاضرابات والانتفاضات والثورات . وكان الاضراب الكبير سنة ١٩٣٦ الذي امتد ستة اشهر من الملامح البارزة لهذا النضال ، كما كانت انتفاضات ٢١ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٣ وثورات ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، من المظاهر العظيمة له .

ب ـ النضال ضد الاستيطان الصهيوني من خلال محاربة الاحتلال البريطاني والتعبئة ضد بيع الاراضي للحركة الصهيونية والتعامل مع الصهيونيين . وقد نجحت حركة المقاطعة نجاحا عظيما رغم كل المساعي التي بذلتها قوات الاحتلال البريطاني .

جـ ـ النضال ضد الرجعيين والعملاء الداخليين الذين تعاونوا مع الاحتلال أو الاستيطان . وتآمروا ضد الحركة الوطنية .

د ـ النضال ضد الرجعيين العرب الذين تآمروا مع الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية .

وكان هذا النضال مجيدا وباسلا ، شاركت فيه جماهير واسعة ، عبرت عن تمسكها بالارض والتزامها بالوطن وبالقضية الوطنية .

الا أن هذا النضال العظيم واجه المصاعب التالية :

اولا : كانت سلطات الاحتلال البريطاني مصممة على تنفيذ وعدها للحركة الصهيونية بانشاء الوطن القومي في فلسطين . ولذلك عينت هربرت صموئيل الصهيوني أول مندوب سام لها في فلسطين ، وبذلت كل الجهود من أجل تمكين الحركة الصهيونية من اقامة سلطتها . ولذلك عملت قوات الاحتلال على سحق المقاومة العربية في فلسطين ، وتسهيل بيع الاراضي وتقديم بعض أراضي فلسطين لحركة الاستيطان ، وتسهيل الهجرة الصهيونية واستيعاب المهاجرين وتشجيع التسلل الصهيوني الخ .

وكانت بريطانيا دولة عظمى في هذا الوقت ، بينما كان شعبنا اعزل .

وعند بدء الحرب العالمية الثانية دخلت الولايات المتحدة الاميركية ميدان مساندة الحركة الصهيونية واقامة دولة صهيونية على أرض فلسطين .

ثانيا : وكانت القوى الرجعية العربية متآمرة ومتواطئة . فمن جهة كان النظام في شرق الاردن يطمح بالاستيلاء على جزء من الاراضي الفلسطينية ، مقابل تسليم الباقي للاستيطان الصهيوني . ولذلك كان هم النظام الاردني سحق الحركة الوطنية الفلسطينية والتعاون مع الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية . اما الانظمة الاخرى فقد كانت تابعة وعاجزة ، كانت بمعظمها تنفذ

السياسة البريطانية . ولذلك عملت هذه الانظمة على محاصرة الحركة الوطنية الفلسطينية ومنع حركة الجماهير العربية من مساندتها .

ثالثا : وكانت الحركة الصهيونية العالمية قادرة على التأثير في السياستين البريطانية والاميركية خاصة ، والسياسة الامبريالية العالمية عامة ، بما يجعلها قادرة على توفير أجواء النجاح لمشروعها في فلسطين ، من حيث توفير الامكانيات المادية والمعنوية لهذا المشروع . ولذلك قدمت الاموال والدعم السياسي ، ويسرت سبل انتقال المهاجرين وبناء المستوطنات لهم .

رابعا : وكانت الحركة الوطنية الفلسطينية تعاني الضعف والقصور ، في مجالات عدة . فمن جهة كانت قيادتها ممثلة لكبار الملاك العقاريين والبرجوازية التجارية الناشئة . وكانت الطبقتان اللتان تمثلهما هذه القيادة ، وهما كبار الملاك العقاريين والبرجوازية ، تستفيدان من وجود الاستيطان الصهيوني ، لانهما تجنيان ثمرة الارتفاع الباهظ في أسعار الارض وأثمان المنتوجات الزراعية وايجارات العقارات . وكانتا تتناقضان مع الاستعمار البريطاني ، لكونه يحرمهما من الاستيلاء على السلطة السياسية . الا انهما كانتا لا تناصبانه العداء الكامل ، لانهما كانتا ترجوانه استقلالا كاستقلال العراق أو شرق الاردن . ولهذا اتخذ موقف هذه القيادة من الاستعمار البريطاني والاستيطان الصهيوني موقفا مساوما ومتذبذبا . وكانت الصراعات بين ممثلي هاتين الطبقتين كبيرة ، حتى أن قسما من ممثليها قد ارتمى في احضان الاستعمار البريطاني ، وشق عصا الطاعة على الحركة

الوطنية وساهم في تصفيتها . أما حركة الجماهير فقد كانت فلاحية في الاساس وكان الريف متخلفا ، والعلاقات فيه شبه عشائرية ، والانتاج بدائيا ، مما جعل تطور حياة تنظيمية متطورة امرا غير متوافق مع واقع الحال . ولذلك هبت جماهير الفلاحين ، واشعلت الانتفاضات والثورات وقاتلت بشجاعة ، الا انها لم تكن قادرة على تطوير نضالها الى المستوى المطلوب . وذلك لسببين اساسيين ، اولهما كون قياداتها السياسية ليست منها ، وكون قياداتها المحلية غير مهيأة ، وثانيهما لان وعيها التنظيمي وخبراتها كانتا غير متطورتين ومتبلورتين .

ولهذا ظلت الثورة تندلع وتتوقف ، والتضحيات تقدم جزافا ، والمعارك تخاض دون أن تؤدي الى النتائج المطلوبة .

ولهذا كله استطاعت القوى الصهيونية أن تعلن قيام دولتها في فلسطين ١٩٤٨ بينما كانت قوات الاحتلال البريطاني تعلن الرحيل . واقع جديد ينشأ ومسؤوليات جديدة تلقى على كاهل شعبنا ، بعد أن شرد معظمه واحتل القسم الاكبر من أرضه وقامت عليه دولة عنصرية غاشمة .

كانت سنوات نضال مجيده انتهت الى النكسة ، الى التشرد وضياع الوطن .

المرحلة الثالثة ، ١٩٤٨ ــ ١٩٦٧ : ولقد شهدت هذه المرحلة نضال شعبنا على جبهات مختلفة . فمن جهة حاول الذين ظلوا على التراب الوطني وتحت نير الاحتلال الصهيوني ، ان يحافظوا على هويتهم القومية ، وان يقفوا

في وجه مساعي الاحتلال الفاشم لاقتلاعهم من الارض ، ومسح هويتهم واخضاعهم أو ابعادهم . وكان نضالا قاسيا لانه كان نضالا غير متكافىء . ومن جهة ثانية حاول الذين شردوا وانتقلوا الى البلاد العربية لاجئين أن يحافظوا على قضيتهم ، فاشتركوا في كل النشاطات السياسية العربية ، والثورية منها خاصة . ولذلك انضموا الى الاحزاب السياسية الثورية ، وعلى الاخص الاحزاب القومية كالبعث ، القوميين العرب ، والاحزاب الشيوعية .

واحس الذين هم في الداخل او في الخارج ان امكانيات الانتصار على العدو الصهيوني بحاجة الى نمو الحركة الوطنية والديمقراطية العربية وتطورها . ومن هنا رصد الذين في الخارج كل نشاطاتهم لتنمية هذه الحركة العربية ، بينما ناضل الذين في الداخل وهم يراهنون عليها . وبات واضحا للجميع منذ ١٩٤٨ أن تحرير فلسطين مرهون بتحرير الجماهير العربية وقوتها . من هنا اشتد النضال في الاردن لاسقاط السيطرة البريطانية ، وضد النظام الاردني الرجعي العميل ، كما اشتد النضال ضد مواقع الاحتلال والقوى الرجعية في بلادنا العربية كلها .

ولقد شهدت هذه المرحلة بعض التحركات الفدائية ، فمنذ سنة ١٩٤٩ وحتى ١٩٥٣ استمر بعض المناضلين الشعبيين في الاغارة على المستعمرات ، وبثوا الرعب فيها. غير أن النظام الاردني والانظمة العربية الاخرى اتخذت اجراءات صارمة ضدهم ، وعملت كل ما بوسعها لشل نشاطهم . وتجددت هذه التحركات سنة ١٩٥٥ و ١٩٥٦ بمساندة الثورة المصرية ، الا ان هذه التحركات لم يقيض

لها الاستمرار . وشهدت هذه المرحلة مدا وطنيا عارما ، ذلك أن نكسة ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ في فلسطين أيقظت قوى الثورة في الوطن العربي كله ، فهبت الجماهير المصرية ، واسقطت نظام فاروق سنة ١٩٥٢ ، وجرى عدد من الانتفاضات في سورية منذ ١٩٥٠ . وبدأت التحركات الشعبية في الاردن ضد السيطرة البريطانية والمهادنة مع الاحتلال الصهيوني ومشاريع الاحلاف ، وكذلك حصل في العراق الى أن سقط نظام نوري السعيد والعائلة المالكة ، واخذت مواقع الاحتلال الاجنبي والقوى الرجعية العربية تتهاوى تحت ضربات القوى الجماهيرية الوطنية والديمقراطية والثورية .

واستقطبت هذه الحركة حماسة الجماهير الفلسطينية وكل طاقات طلائعها . وساد الشعور بأن طريق الثورة العربية هو طريق تحرير فلسطين . وما لبثت الحركة القومية الديمقراطية العربية ان اصطدمت بعقبات كبار ، منها ان التحالف الجبهوي بينها كان هشا ، فاصطدمت الفئات القومية فيما بينها (الناصرية ، البعث ، القوميون العرب) وتصارعت الاحزاب القومية والشيوعيون . وكان الصراع محتدما على محاور متعددة . فمن جهة خاضت الحركة الوطنية العربية معركتها مع الاستعمار القديم (الامبرياليتين البريطانية والفرنسية) ، واستطاعت ان تحقق نجاحات كبرى : تحرير الاردن والعراق من بقايا السيطرة المباشرة ، تحرير اليمن الجنوبية من الاحتلال البريطاني ، تحرير المغرب العربي (تونس ، الجزائر ، مراكش) من الاحتلال الفرنسي ، وكان الصراع قد ازداد احتداما ايضا مع الامبريالية الاميركية منذ سنة ١٩٥٧ ، عندما ارادت هذه الامبريالية ان تدخل المنطقة باسم ملء

الفراغ (مشروع ايزنهاور) . ومن جهة اخرى اتسعت التعبئة ضد الاحتلال الصهيوني ، وتعمق الوعي بضرورة الاستعداد للحرب . واصبحت قضية الحرب مع دولة الاحتلال الصهيوني من القضايا الاساسية في شعارات الاحزاب والقوى الوطنية العربية وبرامجها ، والمد الجماهيري الوطني خاصة . وتحت ضغط هذا المد وكسر عبد الناصر احتكار السلاح سنة ١٩٥٥ ، انتهجت دول عربية اخرى (سورية ، العراق) سياسة مستقلة في التسلح واعداد الجيوش . اصبحت الحرب مع الاحتلال مطلبا وطنيا ، وإظهرت عملية جمع التبرعات للجيش السوري سنة ١٩٥٦ الى اي مدى واسع تحظى هذه القضية باهتمام الناس جميعا .

ومن جهة ثالثة خاضت الحركة الشعبية معارك ضد القوى الرجعية عامة ، والعميلة خاصة . فشهدت سورية عددا من الانقلابات ،وشهد الاردن عددا من الانتفاضات الجماهيرية . واسقط نظام الحكم الملكي في مصر وكذلك في العراق ، وضرب الاقطاع والكمبرادور في مصر وسورية والعراق واليمن الديمقراطية والجزائر ، وحدث عدد من التحولات في الوطن العربي .

ولقد استطاع بعض القوى الاشد رجعية ان يحافظ على وضعه ، وان يطور اوضاعه وامكانياته ، وان يبقى ، كما حدث في المملكة العربية السعودية والاردن ومراكش .

وجاءت حرب ١٩٦٧ ضربة من التحالف الامبريالي-الصهيوني — الرجعي ضد الحركة الوطنية العربية، هزتها وارغمتها على التراجع ، وعلى قبول شروط القوى الرجعية في مؤتمر القمة العربي المنعقد بالخرطوم (نوفمبر ١٩٦٧) .

وكانت تعتمل وسط هذه الظروف حركات مختلفة داخل صفوف الشعب الفلسطيني ، بعضها يرى ان عودة فلسطين تأتي من خلال احداث تغييرات جذرية في الاوضاع العربية ، وبعضها يرى ان تحرير فلسطين يجب ان يكون بعمل مباشر على ارض فلسطين ، مهما كانت الاوضاع العربية .

وحين ازدادت التناقضات داخل الحركة الوطنية العربية ، وبدا ان الاعداد لتحرير فلسطين لا يحظى بما يستحقه من اهتمام ، ازداد الاتجاه الثاني قوة ، فانطلقت في اليوم الاول من سنة ١٩٦٥ الثورة الفلسطينية المسلحة . مرحلة جديدة تبدأ ضمن ظروف جديدة ، طلائع من الشعب الفلسطيني تحاول ان تفجر قضية فلسطين دون ان تصطدم بالواقع العربي .

انطلقت الثورة الفلسطينية المسلحة في اليوم الاول من سنة ١٩٦٥ ، وكانت انتقالاً نوعيا من التعبئة والحوار الى العمل ، ومن الانهماك الكبير بوقائع السياسة العربية الى الانهماك بعمل محدد هو الثورة المسلحة على الارض المحتلة . جاءت الثورة في اوائل عام ١٩٦٥ بعد الانفصال وتحطيم تجربة الوحده ، وبعد الخلافات التي شهدتها الساحة العربية اثر الانفصال . كان الجو الفلسطيني مشحونا بكل رياح الثورة العربية ، ولكنه ايضا كان يعيش ازمته الخاصة غير المنفصلة عن الازمة العامة للحركة العربية . فعلى الصعيد الفلسطيني بدأ ينمو احساس منذ سنة ١٩٦٢ انعلى الفلسطينيين ان يخوضوا معركتهم ، والا ينتظروا قرارات الدول او القوى المشغولة بالعديد من القضايا . واخذت التجمعات تنتشر ، عشرات الاسماء

والبرامج والنشرات التي تتحدث عن الثورة والتحرير وتحث عليهما .

وكانت هنالك روح الثورة العربية المنتشرة ، والتي اججها حزب البعث العربي الاشتراكي والشيوعيون العرب ومختلف القوى الوطنية العربية ، ثم جاءت الناصرية فزادتها عمقا واتساعا منذ اواخر الخمسينات . ولكن هذه الموجة العارمة كانت قد بدأت تتمزق نتيجة الخلافات بين هذه القوى ، وكانت الناصرية تبدو عاجزة بعد الانفصال، وان كانت لم تخسر جماهيريتها .

وكانت المراهنة على ان طريق تحرير فلسطين هي طريق الحركة الوطنية العربية واسقاط الانظمة العميلة قد بدأت تتقلص ، نتيجة الظروف التي مرت بها الحركة الوطنية العربية . كما ان نمو الوعي في صفوف الفلسطينيين ومشاركتهم الفعالة في نشاطات الاحزاب والقوى العربية المختلفة حفزهم ، واشعرهم انهم قادرون على الانتقال الى الثورة ، وعلى ارض فلسطين تحديدا . ومن هنا بدأوا يستعدون ، ثم كانت الانطلاقة .

لم يكن الجو العربي مهيئا . وكانت انظمة القمع تخشى مثل هذا النشاط ، وخاصة الاردن ولبنان . ولذلك انطلقت اجهزة مخابراتهما تعتقل وتقمع وتقتل . اما مصر عبد الناصر فانها اعتبرت ذلك مؤامرة تخطط لها اجهزة المخابرات الامريكية ، وانطلقت الصحف المرتبطة بمصر تتهم وتتهجم .

ولقد عاشت الثورة ما بين انطلاقتها وحرب ١٩٦٧ مرحلة صعبة . ذلك انه كان عليها ان تثبت في ظروف

عسيرة ، وان تتقدم في وضع عربي رسمي معاد ـــ ما عدا سورية آنذاك التي اتخذت موقفا خاصا ومؤيـــدا ـــ وان تؤسس نفسها في وقت لم تكن الحوارات فيه قـــد حسمت في الساحة العربية حول العديد من القضايا ، ومنها قضية فلسطين والكفاح المسلح وموقعهما من الثورة العربية .

وجاءت حرب ١٩٦٧ لتغير العديد من الوقائع . فمن جهة اسقطت وجهة النظر القائلة بالاعتماد على الانظمة الرجعية . وطرحت من جديد قضية وضع القـــوى الوطنية العربية ودورها وقضية الكفاح المسلح . ولما كانت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » آنـــذاك مستعـــدة وجاهزة للعمل استطاعت أن تحول الهزيمة الجديدة الـــى منطلق لعمل ثوري عربي جديد ـــ المقاومة .

اهتز الواقع العربي كله ، بعد هزيمة ١٩٦٧ ، واذا كان عبد الناصر قد عاد الى السلطة ، الا انه بات لا يملك الطاقات التي كان يملكها من قبل . ولذلك اضطر في مؤتمر القمة (نوفمبر سنة ١٩٦٧) أن يقدم تنازلات كبيرة للرجعية العربية ، وعلى راسها سياسته الثورية العربية .

وعلى الرغم من ان مؤتمـــر الخرطـــوم نص على اللاءات الثلاث لا صلح ، لا اعتراف ، لا مفاوضات ، الا ان السياسة العربية بدأت منذ ذلك الحـــين تدخـــل منعطفا جديدا ، فمن جهة تراجع عبد الناصر عن مطامحه الثورية خارج مصر ، ومن جهة اخرى اخذ دور الانظمة الرجعية ، وعلى راسها النظام السعودي ، يزداد قـــوة في الحيـــاة العربيـــة .

وهكذا اخذت ثلاث ظواهر تتلاقى في الحياة العربية : المقاومة الفلسطينية تنمو وتتسع وتقوى ، الحركة الوطنية العربية تضعف وتتضاءل ، الرجعية العربية تزداد قوة وشراسة وعنفا .

كانت المقاومة تنمو وتتسع وتقوى ، لانها استطاعت ان تدخل الصراع مع العدو الصهيوني ، وان تنقل الصراع الى الارض المحتلة . ولذلك استثارت حماسة المناضلين في كل مكان ، واوجدت مناخا مناسبا لبلورة الوعي السياسي والعمل المسلح . استقطبت المقاومة جماهير الشعب الفلسطيني خاصة والجماهير العربية عامة ، ودفعت قطاعات شعبية واسعة الى العمل ، وخاصة من الفلسطينيين ، واصبحت المقاومة امل الجماهير العربية ، بما في ذلك كل الفلسطينيين .

وكانت الحركة الوطنية العربية تضعف ، لانها انقسمت على نفسها ، فاضعفت الناصرية حزب البعث وحركة القوميين العرب والشيوعيين والحركة الوطنية المنظمة عموما ، وان كانت قد ساهمت في تنمية الوعي الجماهيري . ثم حدثت انقسامات في حزب البعث نفسه : ١٩٥٩ ، ١٩٦٦ ، ١٩٧٠ ، ثم تفتت حركة القوميين العرب.

وحاولت فصائل الحركة الوطنية العربية ان تحل اشكالاتها فضربت الاقطاع ، والكمبرادور، وانهت الاحتلال المباشر او المقنع ، ولكنها واجهت صعوبات كبيرة في الميادين الاساسية ، ذلك انها عجزت عن بناء جبهتها القومية واعداد قواها لمواجهة الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية العميلة

والمرتبطة ، ولذلك هزمت في اول معركة مع دولة الاحتلال الصهيوني سنة ١٩٦٧ هزيمة منكرة ، واخذت بعد ذلك تتهيأ للتراجع .

ثم بدأت التراجعات : الموافقة على مشروع روجرز في اواخر تموز سنة ١٩٧٠ ، ضرب المقاومة الفلسطينية في الاردن ايلول ١٩٧٠ — تموز ١٩٧١ ، صراع السلطة في سورية وبداية التحولات في مصر بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر .

وعاشت المقاومة بعد ايلول اوضاعا جديدة اتسمت بالتالي :

١) على صعيد الاردن : استطاعت السلطة ان تنهي وجودها السياسي والعسكري ، وان تفرض اجواء قمع جديدة على جماهير الشعب الفلسطيني والاردني . ولقد خسرت المقاومة بذلك قدرتها على تحريك جماهيرها المقيمة في الاردن وقطاعات واسعة من الجماهير الاردنية ، كما انها خسرت خط اتصالها الطويل مع الارض المحتلة والممتد من العقبة الى الحمة .

٢) وعلى صعيد الارض المحتلة : استطاعت قوات الاحتلال ان توجه ضربات الى وجود الثورة في غزة ، بعد ان كانت الثورة تمارس سيطرة واسعة على جماهيرها وارضها ، كما استطاع النظام الاردني ان يواصل مؤامراته على جماهير شعبنا هناك .

ومع ذلك فقد كانت قوى الثورة تنمو ، وامكانيات النضال تحتشد وتتجمع حتى تحولت الى انتفاضات باسلة طويلة واسعة النطاق .

٣) وعلى صعيد لبنان استطاعت الثـورة ان تنمـو وسط الجماهير الفلسطينية واللبنانية ، وان تكون لنفسها مواقع قوية . ولقد استثارت هذه المواقع القوى الرجعية، فأخذت تتململ وتهيىء نفسهـا للانقضـاض . وبـدأت الاحتكاكات التي اخذت تقوى وتضعف حتى انفجرت في ايار سنة ١٩٧٣ ثم في نيسان ١٩٧٥ .

٤) وعلى الصعيد العربي العام : كانت الثورة تفرض وجودها السياسي ، من مؤتمر القاهـرة سنة ١٩٧٠ الى مؤتمر الرباط ، سنة ١٩٧٤ ، بينما كانت تحاصر في كـل مكان . فلقد اغلقت اذاعتها في القاهرة سنة ١٩٧٠ ، وبعد الموافقة على مشروع روجرز. واشتدت الحملات عليها بعد ايلول من اجل تفتيتها . واثيرت حولها الفتن والحـروب كما جرى في الاردن ولبنان ، وبـدأ التضييـق عليها في سورية . واقفلـت الحـدود مع العـدو امامـها ، وتمت السيطرة على كل مواقعها ومخازنها ومعسكراتها .

٥) وجاءت احـداث لبـنان سنة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ والتدخل العسكري العربي لتفرض عليـها واقـعا جديدا يجعلها خاضعة لهيمنة الواقع العربي الرسمي المتدهور .

وهكذا كانت المقاومة تنمو في ظل وضع عام يتسـم بالتعقيد الشديد ، فمن جهة كان وضع الامبريالية الاميركية يتدهور على الصعيد العالمي ، ولكنه كان يسعى الى تثبيت مواقعه في بلادنا . ولذلـك قامـت الامبرياليـة الاميركية بهجمات مضادة ، واستردت بعض مواقعها في مصر خاصة والبلاد العربية عامة . ومن جهة ثانية استغلت القـوى

الرجعية العربية هزال وضع القوى القومية الديمقراطية الشعبية فوجهت لها ضربات قاصمة ، وزادت سيطرتها في العديد من البلدان ، وخصوصا البلدان المحيطة بفلسطين المحتلة. وهكذا وجدت المقاومة نفسها تقاتل وهي محاصره ، تتجه نحو العدو الصهيوني فتضرب من الخلف ، وتحاول تجنب المعارك الجانبية فتفتح لها معارك متعدده في كل مكان من الارض العربية .

ولقد جاءت الانطلاقة في ظرف صعب ومعقد سنة ١٩٦٥ ، ولكن هزيمة ١٩٦٧ ، فتحت منافذ للعمل ، ثم اخذ الوضع العربي الرسمي يسترد انفاسه ، وبدا التآمر الذي ما لبث ان تحول الى معارك ومذابح . وجاءت حرب تشرين فاستعادت الانظمة العربية بعض قوتها ، واتجهت لتصفية المقاومة بدلا من محاربة العدو الصهيوني .

واذا كانت السياسة العربية الرسمية تحاول منذ مشروع روجرز ان تدفع المقاومة الفلسطينية نحو التزام الموقف العربي الرسمي ، فانها زادت قدرة على ذلك بعد حرب تشرين . ولقد لجأت الدول العربية ذات العلاقة الى استخدام كل الوسائل لاضعاف موقف المقاومة ، ولسحقها وعلى راس هذه الوسائل :

١ — مؤامرات التفتيت واثارة المشاكل الداخلية والتناقضات التي تستنزف القوى جميعا .

٢ — الحصار المستمر ومحاولة السيطره على المقاومة من خلال تكوين المواقع داخلها وربطها بسياسة هذا القطر او ذاك .

٣ ــ معارك الذبح والقتل كما جرى في الاردن ولبنان .

ان تاريخ النضال المجيد الباسل خلال السنوات الاحدى عشر الماضية يكشف اصرار الشعب الفلسطيني على استعادة وطنه ، واستعداده لتقديم كل التضحيات من أجله، ويكشف في الوقت عينه شجاعة مناضليه ومقاتليه وتفانيهم في سبيل الوطن والقضية ، ولكنه يكشف ان هذا النضال الذي يحظى بتأييد الجماهير العربية وحماستها يصطدم بواقع رسمي مفكك تلعب الدور القيادي فيه قوى معادية لمسيرة التحرير او الثورة .

ويواجه الشعب الفلسطيني اليوم وضعا صعبا ودقيقا يستدعي الوقوف عنده وتأمل ابعاده ودراسة اشكالاته دراسة مستفيضة ، لكي يستطيع الخروج منه ظافرا منصورا .

ان الصراع سوف يستمر على الرغم من كل المؤامرات الدائرة ، وعلى الرغم من محاولات اضعاف دور المقاومة والسيطرة عليها .

سوف يستمر ويتصاعد ويتقدم وسوف ينتصر . ان هذا تؤكده مجموعة من الحقائق الواضحة المتجسدة فيما يلي :

اولا : ان الشعب الفلسطيني الذي تشرد وعانى خلال العقود الثلاثة الماضية تعلم ان الثورة وحدها هي التي تحطم كل اغلاله وتعيده الى الحياة الانسانية ، ولذلك فهو مقتنع بالثورة مصمم على خوضها ، مستعد لتقديم كل التضحيات من أجلها .

ولقد اكتسب الشعب الفلسطيني خبرات كبيرة في مجال التنظيم والعمل السياسي والقتال ، وهي خبرات ضرورية لبناء القوى وتعبئة الجماهير وخوض المعارك . ان الشعب الفلسطيني بات يتقن اليوم ما لم يكن يتقنه من قبل ، وهو مشحون بالاصرار متمرس بالنضال ، خاض اشرس المعارك من غزة الى عمان الى تل الزعتر ، ولم تعد تخيفه المعارك او ويلات الحرب . ولذلك فان الشعب الفلسطيني قادر ولقد بلغ درجة من الاستعداد للتضحية تجعله لا يعجز عن شيء . ان استمرار التشريد والمطاردة في الارض المحتلة ، وعلى الارض العربية ، واستمرار الاحتلال الصهيوني للارض واكتساب هذه الخبرات العظيمة يجعل امكانيات النضال متوافرة وامكانيات استمراره متزايدة .

ثانيا : ان المعركة مع الاحتلال الصهيوني على أرض فلسطين هي معركة الجماهير العربية كلها في سبيل تحرير الارض وبناء الوطن . وعليه فان الشعب الفلسطيني لا يخوض معركة معزولة ، انه يخوض معركة مع مائة وخمسين مليون عربي ينتشرون من تطوان الى عدن . ومعركته هي معركة هذه الملايين الغفيرة التي تناضل ضد الاحتلال منذ اواخر القرن الماضي ، وتسعى لبناء وطن متحرر متحد ديمقراطي واقامة سلطة قومية ديمقراطية شعبية .

ولقد استطاعت الجماهير العربية خلال العقود الثلاثة الماضية ان تضرب مواقع الاحتلال المباشر في اجزاء واسعة من أرض الوطن ، وان تقيم اشكالا من الدول المستقلة . واسقطت هذه الجماهير انظمة وقوى مختلفة

كانت مرتبطة بالاستعمارين الانكليزي والفرنسي، وخاضت صراعات ضد مشاريع السيطره الاميركية .

وما زالت الجماهير تقاتل ضد الانظمة والقوى المرتبطة بالامبريالية الاميركية ، والتي تقف في سبيل الحركة الشعبية العربية ، وتحاول منعها من تحقيق اهدافها .

ان هذا الصراع الذي تخوضه الجماهير العربية ينمو ويتعاظم على الرغم من النكسات التي يمر بها الآن . ولقد كان هذا شأنه منذ اواخر القرن الماضي ، هبات وصراعات ، ثم خمود وانتكاسات ثم هبات وصراعات من جديد . ولقد كانت مسيره العقود الثلاثة الماضية خير دليل على ان القوى الاكثر رجعية تسقط وسيطره الامبريالية على بلادنا تنحسر ووطننا يتجه نحو تحرره ووحدته واستقلاله وازدهاره .

ان هذه المسيره هي مسيره تحرير فلسطين ، لان دولة الاحتلال الصهيوني قامت في ظل انظمة وقوى متخلفة عميلة ، وسقوط هذه القوى سقوط للمشروع الصهيوني . ان هذه القوى تتساقط امام وعي جماهيرنا العربية واصرارها على النضال . والوقائع تثبت ان هذه الجماهير قادرة رغم كل اشكال القمع والاضطهاد ان تواصل مسيرتها .

ولعل ما حدث في مصر ، خلال شهر كانون الثاني الماضي هو خير دليل على ما نقوله . ان جماهير مصر المضطهدة والمسحوقة والناقمة على سياسة التنازل الوطني والمهادنة والمساومة مع العدو الصهيوني والامبريالية

الاميركية والاستغلال والقمع هبت تعبر عن ارادتها . ولقد حدث ذلك في وقت كان الكل يظن فيه ان جماهير مصر مستسلمة وان السلطة قوية لا تهتز . وما حدث في مصر هو جزء من الحركة الثورية في الواقع العربي، والتي تشبه حركة العاصفة في الصحراء ، انها موجودة دائما تظهر هنا ثم تختفي ثم لا تلبث ان تظهر هناك ، والواقع العربي عامر بالثورة وتزيده سياسة التراجعات والخضوع للابتزاز الامبريالي والصهيوني اشتعالا . ولن تفيد كل اشكال القمع والاضطهاد وبناء اجهزة الانكشارية الجدد في سحق ارادة الجماهير والثوره . وما دامت معركة الشعب الفلسطيني جزء من هذه المعركة الكبيرة الواسعة فان الشعب الفلسطيني سيظل يجد ارضا ثورية يتحرك فيها .

واذا كانت الانظمة والقوى الرجعية الحاكمة تريد ان تضرب الثورة الفلسطينية حتى لا تكون الشرارة التي تشعل السهل كله ، فان عليهم ان يعرفوا ان الشرارة انتقلت الى كل السهول والجبال . وان الارض العربية تحضن النار التي لن يستطيعوا اطفاءها .

ولقد اصبحت قضية فلسطين قضية مركزية للنضال العربي كله ، وهذا ما اثبتته انتفاضة مصر الاخيرة ، كما اثبتته وقائع العقود السبعة الماضية . ولهذا فان قضية فلسطين لن تهزم .

ثالثا : ان وضع الامبريالية العالمية عامة والامريكية على راسها آخذ في التدهور ، ان هناك مجموعة من العوامل التي تدفع باتجاه تدهورها ومن هذه العوامل :

١) التناقضات داخل المعسكر الامبريالي نفسه .

وهذه التناقضات تتفاقم في ظل أزمة عامة تعاني منها الولايات المتحدة الامريكية ، كما تعاني بريطانيا وفرنسا واليابان وكل الدول الصغيره في اوروبا . ان جوهر الازمة يكمن في ان هذه الدول باتت غير قادرة على حل ازماتها المزمنة ، وان الامبريالية العالمية باتت عاجزة عن حل هذه الازمة . وتتجلى هذه الازمة في كون هذه الدول الامبريالية قد بنت اقتصادها على أساس امبراطوري وعلى أساس وجود أسواق المستعمرات ، مع انها فقدت القدرة باشكال متفاوتة على ان تكون امبراطوريات . واذا كانت ما زالت تنهب دول العالم الثالث ، فان هذا النهب يتجه نحو الاضمحلال . ان شعوب العالم تناضل من اجل الاستقلال السياسي والاقتصادي . وهي تزداد تصميما على انتزاع حقوقها من الدول الامبريالية ، وتزداد قدره في ظل موازين القوى العالمية الحالية على ممارسته .

ان التناقضات داخل المعسكر الامبريالي تتعدى القدرة على اي تنسيق مؤقت وتقود العالم الراسمالي نحو ضعفه وحتفه .

٢) التناقضات داخل البلدان الراسمالية : ان هذه التناقضات تزداد حدة وعنفا مع نمو الاحتكار وزيادة البطالة والكساد ونمو حركة جماهير العالم الثالث . وهي تهدد بتغيرات سياسية كبرى ، كما انها تربك الولايات المتحدة الاميركية اكبر قوة راسمالية في العالم .

٣) نمو قوة الدول الاشتراكية وعلى راسها الاتحاد السوفييتي والصين في مختلف المجالات المعنوية والمادية . ان نمو قوى الاتحاد السوفييتي والصين والدول الاشتراكية اعطى الشعوب في العالم الثالث مزيدا من الفرص لمقاومة

السيطرة الامبريالية القديمة (بريطانيا وفرنسا) او الجديدة (الامبريالية الاميركية) . كما وفر فرصا لبناء الاقتصاد الوطني والتسلح ونمو حركة الاستقلال الثقافي . وكان ذلك كله يصب في تعقيد ازمة الامبريالية وزيادة تناقضاتها ودفعها نحو التسلح والحرب حتى وهي تتراجع.

٤) تعاظم الحركة القومية الديمقراطية والاشتراكية في بلدان العالم الثالث : ولقد تنامت حركة شعوب العالم الثالث فتحقق الاستقلال الوطني في معظم انحاء آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، واستطاعت الجماهير الشعبية ان توجه ضربات قاصمة للاحتلال الاجنبي والطبقات الرجعية . كما ان الوعي الوطني والطبقي تبلور وتعاظم خلال العقود الثلاثة الماضية ، ونما الوعي الاشتراكي وتحققت انتصارات كبيرة في هذا المجال .

ولقد كان انتصار شعوب الهند الصينية في فيتنام ولاوس وكمبوديا انتصارا عظيما لشعوب العالم الثالث ، ولكل القوى الديمقراطية والاشتراكية ، اذا استطاعت شعوب محتلة صغيرة لا تملك امكانيات عسكرية او اقتصادية كبيرة ، ان تهزم اعظم قوة امبريالية في العالم ، وان تسقط عملاءها وحلفاءها .

د) تعاظم الحركة العمالية والديمقراطية في البلدان الراسمالية : ان هذه الحركة ايضا تنمو وتتعاظم ، وهي تشكل هاجسا مخيفا لكل القوى الراسمالية والامبريالية والرجعية في العالم .

ان نمو هذه القوى وتعاظمها يدفع بالامبريالية والنظام الراسمالي العالمي نحو حتفه ، ويفتح لشعوب العالم الثالث مجالات واسعة لبناء استقلالها السياسي

والاقتصادي وتحقيق الديمقراطية الشعبية والوفرة لكل الجماهير المسحوقة والطبقات الكادحة .

ولهذا نقول ، وهذا النضال يتعاظم في كل الجبهات، ان ميزان القوى يميل لصلحتنا . واذا كانت دولة الاحتلال الصهيوني قد قامت بعد الحرب العالمية الثانية وانتصار الولايات المتحدة الاميركية الساحق ، فان دولة الاحتلال الصهيوني تعيش اليوم ازمتها الحادة في ظل ظروف متغيرة تسير باتجاه تدهور وضع الامبريالية العالمية ، وتطور حركة الشعوب ونموها المتعاظم .

وعلينا ان نرى الامور من خلال هذه الحقيقة حتى لا تؤثر في رؤيتنا النكسات العابرة او حركات استعراض القوى الضخمة التي تقوم بها امبريالية متداعية .

ولذلك نؤكد : ان الصراع سوف يستمر وان الثورة سوف تستمر ، وان الانتصار النهائي محتم .

ومن هذا المنطلق نحن ننظر الى الصراع العربي — الصهيوني. اننا ننظر اليه من زاوية اتجاه التاريخ المحقق. ولذلك فاننا نرى ، وعلى الرغم من النكسات الطارئة او الصعوبات الكبيرة ، النصر مؤكدا ومحققا ، نرى ميزان القوى يميل لصلحتنا على المدى البعيد ونرى الامبريالية العالمية تتدهور ووضع العدو الصهيوني يضطرب ويرتبك.

واذا كانت الولايات المتحدة الاميركية تبحث عن تسوية للصراع العربي — الصهيوني ، فانها انما تنطلق من معرفة هذه الحقيقة . وهذا ما اشارت اليه مصادر اميركية متعددة ، وهي تستهدف من وراء ذلك ما يلي :

١ ــ اعادة تكوين الموقف العربي على اساس قبول الاحتلال الصهيوني والتوجه نحو وجوده سلمـــا لا حربا . وهذا يتضمن خلق حالة سياسية تبطل كـــل توجـــه نحو الحرب . وتؤسس نظرات ومواقف استسلامية .

٢ ــ تفتيت الجماهير العربية في صراعات سياسية ذات طابع طائفي او اثني او صراعـــات بيـــن قوميـــات تستهدف استنزاف كل طاقاتها واقامة حواجز بينها وحرفها عن التوجه نحو الثورة .

٣ ــ خلق حالات من الارباك المستمر تتـــيح المجال للامبريالية الاميركية لحل بعـــض اشكالاتـــها الداخليـــة و الخارجية ، ولامتصاص اكبر قدر من ثروات النفط العربية والثروات الاخرى ، واعطاء دولـــة الاحتـــلال الصهيوني اطول فترة ممكنة لحل بعض مشاكلها المعقـــده ولترتيـــب اوضاعها الاقتصادية وعلاقاتها الدوليـــة .

ولذلك تتجه الفتن نحو خلق حالة احباط عامة لـــدى جماهيرنا وتفتيت شامل لقواها واشغالها بمعارك طاحنة غير معاركها الاساسية. بينما تقدم الامبريالية الاميركية كل الامكانيات لدولة الاحتلال الصهيوني ، لكي توطد وجودها وتعزز قوتها العسكرية وتعيد بناء حياتها واقتصادهـــا . ولذلك زادت المساعدات العسكرية والاقتصاديـــة لدولـــة الاحتلال الصهيوني خلال السنوات الاربع الماضية ، بينما اشتد اتجاه الموقف العربي نحو التدهور من تفاقم الصراعات الرسمية الى تفاقم الصراعات المذهبية والاثنية والقومية.

وما حدث في لبنان يأتي ضمن هـــذا الســـياق ، ان شعب لبنان الباسل واجه خلال السنتين الماضيتين عاصفة

عنيفة استهدفت الشعب والوطن . ولقد تحالفت الامبريالية الاميركية مع الاحتلال الصهيوني والقوى الرجعية العربية العميلة لاحاطة الثورة الفلسطينية بأراض محروقة ولتمزيق وحدة لبنان وتقسيم أرضه .

انه جزء من المخطط الهادف الى ضرب الثورة العربية . وهو ينفذ بأشكال مختلفة ضمن سياق عام نرى نذره في المشرق وفي المغرب العربي .

ولكن هذا كله ليس الا ضربات اجهاضية لمواجهة مسيرة الثورة العربية المتقدمة .

ولذلك فان كل مشاريع التسوية الاميركية للصراع العربي — الصهيوني تأتي ضمن اطار مساعي ابقاء الوضع كما هو عليه ، ضمن تغييرات جزئية او جانبية . فقضية فلسطين تصبح قضية خلاف على الحدود او التنازل عن بعض الاراضي ، قضية الصراع العربي الصهيوني تتحول الى نزاع بين دول متجاورة . وقضية المصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة العربية تصبح مسألة تفاهم ، وقضية الانظمة الرجعية المعادية للجماهير العربية والمعادية للحركة القومية الديمقراطية الشعبية تصبح قضية تهجمات على هذا النظام او ذاك . وما ذلك الا لضمان بقاء الاوضاع القائمة وزيادة عوامل قوتها ووجودها . انها محاولات التفاف على حركة التاريخ ، ومع ذلك فهي محاولات غادرة خطرة تحتاج منا كل اهتمام .

وهذا ما يوجب علينا ان نؤكد ما يلي :

١) ان مشاريع التسويات التي تطرحها دوائر الامبريالية الاميركية وعملائها ودولة الاحتلال الصهيوني

ليست الا « مناورات » في ميدان القضية الفلسطينية أو كل القضايا العربية والعالمية المطروحة . انها ترمي الى كسب الوقت واثارة الخلافات وضرب القوى المعادية لها ونزع اسلحتها من ايديها . انها سياسة « حرب العصابات المضادة » و « التهدئة » و « السلام » على الطريقة الاميركية . ولم يحدث ان قادت ، منذ الحرب الكورية وحتى الان ، الا الى الكوارث الوطنية الكبرى . ومن مشروع تقسيم فلسطين سنة١٩٤٧ الى مشروع تقسيم لبنان سنة ١٩٧٥ مرت الشعوب بكوارث لا حدود لها نتيجة هذه السياسة . فلسطين ، كورية ، الهند ، وباكستان ، ثم الهند الصينية ، الاردن ١٩٧٠ ، قبرص ثم لبنان . وهناك العديد من الامثلة الاخرى .

٢) ان مثل هذه المشاريع لها وجهها « الكلامي » وهو الدعوة الى « السلام » وحل النزاعات بالطرق السلمية ، ووجهها الواقعي والحقيقي ، وهو اثارة الحروب القذرة وضرب الحركات الوطنية والديمقراطية ، والعمل على استعباد الشعوب واستغلالها . ولذلك فلا يجوز أن ينخدع أحد بمناوراتها أو يجر الى مؤامراتها .

ولقد اثبتت كل الوقائع أن القوى التي دخلت مثل هذه اللعبة انتقلت الى صف القوى المعادية للوطن والثورة : الملايو ، الفلبين ، برما ، وأخيرا مصر وغيرها من انظمة التسوية .

٣) ان مواجهة مثل هذه المشاريع كان يتطلب دائما حشد القوى الشعبية وتكوين جبهة قومية متحدة وجيش شعبي وخوض معارك طاحنة ضد القوات الامبريالية وحلفائها وعملائها : ولم تهزم مثل هذه المشاريع مرة

واحدة بالمناورات السياسية المضـــادة فقط . وان كانت المناورات السياسية هامة دائما . لقد كان الكفاح الشعبي المسلح هو الوجه الرئيسي للصراع في كل المجـالات التي قادت الى الظفر .

٤) ان القول بأن ميزان القوى يميل لمصلحتنا على المدى الطويل لا يعني البتة انه لمصلحتنا الان ، وفي المرحلة الراهنة ، لان التحالف الامبريـالي الاميركي الصهيوني ، والتحالف الامبريـــالي الاميركي العربي الرجعي دفعـا بميزان القوى مرحليا لمصلحتهما ، وذلك نتيجة تحالف هذه القوى جميعا ، وبشكل منسق من جهـــة ، ولان القوى الثورية والقومية الديمقراطية العربية كانت في حالـــة تراجع وتشرذم وضعف منذ سنة ١٩٦٧ . ان العـــدو يعمل لتعديل ميزان القوى مرحليا بما يكفل له تعديلـــه لمصلحته على المدى البعيد . ومع أن حساباته ضد اتجاه التاريخ ، فان علينا أن نواجهها بكل حزم .

وهنالك الان خطان في مواجهة هـذه المسألة : خط يرى أن النصر مؤكد ومحقق على الصعيد البعيد المدى ، ولذلك لا يعطي اهتماما للنكسات المؤقتة ولا يـرى فيمـا يحدث « تراجعات » وتنازلات وخيانات وطنية . وهـو لذلك يدعو الى تبني سياسة التضـامن العربي المتمثـل بالخط المصري ــ السوري ــ السعودي . وخط يـرى أن ما يجري مؤامرة تصفية للقضية الفلسطينية وقـــوى الثورة العربية ، ويدعو الى مواجهته بكل الوسائل .

ان مناقشة هذه المسألة وتحديد موقف علمي ثوري فيها ضروري الان ، لان اللحظات التي نعيشها لحظـات

كتابة التاريخ المقبل ، وهي لحظات تحتاج الى المواقف الحاسمة .

ان صورة الوضع العربي تزداد اليوم تشوشا وتعقيدا ، ولكن الخطوط الاساسية فيها ما زالت واضحة . وهي تتلخص كالتالي :

أولا : ان الصراع مع الامبريالية الاميركية والاحتلال الصهيوني والقوى الرجعية العربية يتفاقم ، ولا يخمد ، وعلى الرغم من كل مشاريع التسوية ومؤامرات التصفية. وهو يتفاقم للاسباب التالية أيضا :

أ ــ لان تحالف الامبريالية الاميركية مع الاحتلال الصهيوني واغداقها المساعدات الاقتصادية والعسكرية عليه يزيد من تناقضها العدائي مع شعبنا .

ب ــ ولان تحالف الامبريالية الاميركية مع القوى الرجعية في بلادنا ، ومساعيها الدائبة لتقوية مواقع هذه القوى ، ولتوفير الامكانيات لها ، يراكم تناقضات جماهيرنا معها .

ج ــ ولان مواصلة الامبريالية الاميركية استغلال ثرواتنا ونهب خيراتها يدفعنا باتجاه الصدام معها .

د ــ ولان تحالف دولة الاحتلال الصهيوني مع الامبريالية الاميركية واصرارها على تحدي ارادة جماهيرنا باحتلال أرضنا العربية ، وانتهاج سياسة عدوانية توسعية معادية لوجود شعبنا العربي كله يدفع التناقض مع الاحتلال الى التفاقم .

هـ ـ ولان اصرار القوى الرجعية العربية على انتهاج سياسة مصالحة مع الامبريالية ، ومساومة مع العدو الصهيوني ، وعداء للجماهير العربية ، يدفع تناقضها مع الجماهير باتجاه التفاقم .

ولذلك فان الامور تسير باتجاه الصراع وليس باتجاه التسوية .

ثانيا : ان محاربة مشاريع التصفية الامبريالية والصهيونية والرجعية يزيد من تدهور وضع الامبريالية والاحتلال الصهيوني والرجعية العربية ، وان التكيف معها يتيح لمعسكر العدو فرصة نادرة لتحسين وضعه مؤقتا . ولذلك فان سياسة الانفتاح على العدو الامريكي ، والتعايش مع العدو الصهيوني ، وضرب الثورة الفلسطينية ، يقود الى سياسة معادية لمطامح جماهيرنا العربية ومصالحها .

ثالثا : ان الصراع من اجل تحرير فلسطين ليس مفصولا عن الصراع في سبيل تحرير الوطن العربي من كل اثار السيطرة المباشرة ، وتحقيق الثورة القومية الديمقراطية الشعبية فيه . وان كل محاولات عزل القضية الفلسطينية عن اطارها العربي تبوء بالفشل امام الوقائع اليومية والتاريخية المحققة . وهذا يعني اننا لا نستطيع أن نفكر بفلسطين اليوم ، ونحررها غدا ، أو خلال السنوات القادمة ، دون أن نفكر جديا بمصير قوى الثورة العربية .

أن نمو قوى الثورة العربية ونمو قدرتها النضالية والقتالية على هزيمة المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي ، هو الضمانة الوحيدة لاستمرار النضال من اجل فلسطين وتحريرها كاملة ، ولا ضمانة غير ذلك البتة .

رابعا : ان الصراع بين القوى الشعبية والقوى الرجعية يزداد شراسة . وقد انتقل منذ ايلول سنة ١٩٧٠ الى مرحلة الحروب الاهلية . ولذلك فان الظواهر الفاشية تزداد انتشارا وضراوة ، وسياسة القمع والردع تصير السياسة اليومية للعديد من الانظمة والقوى .

وهذا الصراع ناتج في الاساس عن تفاقم ازمة القوى الرجعية وليس ناتجا عن قوتها .

خامسا : ان تشرذم قوى الثورة العربية وتضاربها وعجزها عن بناء قواها الذاتية وجبهتها المتحدة يجعلها عاجزة عن تحمل مسؤولياتها ومواجهة القوى الامبريالية والرجعية . وان استمرار هذا الوضع سيعطي القوى الرجعية والامبريالية الاميركية والاحتلال الصهيوني فرصا اكبر لترتيب بعض الامور في المنطقة ، لان كل امورها غير قابلة لاي ترتيب ما عدا الثورة .

سادسا : ان الاتجاه التاريخي في الوطن العربي واضح القسمات ، انه اتجاه التحرر من السيطرة المباشرة وغير المباشرة واسقاط القوى الرجعية وبناء الوطن العربي الموحد الديمقراطي المتجه نحو الاشتراكية . ولكن هذا المسار معقد ومتعرج ، بسبب النقائص الاساسية في تكوين الحركة الثورية العربية ، والهجمات المضادة القوية التي تشنها قوى الامبريالية الاميركية والاحتلال الصهيوني والرجعية العربية .

وعلى ضوء ذلك كله ، فاننا مطالبون بان نعي دروس تجربتنا وعبرها ، انها خير معين لنا على معرفة اوضاعنا الراهنة ، واتخاذ مواقف صحيحة منها ، وتحديد اتجاه المستقبل .

ان كل الوقائع والحقائق السابقة الذكر تؤكد على مـــا يلي :

اولا : ان تحرير فلسطـــين يأتي عبر سياق حركة ثورية عربية متصادمة مع الامبريالية الاميركية والاحتلال الصهيوني والقوى الرجعية العربية .

ثانيا : ان الكفـــاح المسلـــح هو الشكل الرئيسي للصراع ، وان حرب الشعب العربيـــة هي الطريـــق الوحيـــد .

ثالثا : ان هذا الطريق طويل ومتعرج ، ولذلك فهـــو يحتـــاج الى الوعي والتنظيم وحشد قـــوى الجماهير وتعبئتها ، وخوض المعارك الفاصلة .

رابعا : ان العمل السياسي والدبلوماسي في هذه المعركة متممان للعمل العسكري وليسا منفصلين عنـــه ، وانهما لا يحققان النتائج التي يحققها منفردين .

خامسا : ان الاعتماد على قوانا الذاتية وطاقاتنـــا وامكانياتنا ، هو الضمان الوحيد لانتصارنا . اما الاعتماد على موازين القوى الخارجية ، فلا يحقق شيئا دون توافر القوى الذاتية .

لقد كانت الثورة الفلسطينية تواجه بحصار كلمـــا خلقت ازمة للامبريالية العالمية او للاستيطان الصهيوني .

ولقد اسهمت القيادات العربية سنة ١٩٣٦ بانهـــاء الاضراب الذي استمر ستة اشهر ، وناشـــدت الشعب الفلسطيني ان « يخلد الى السكينة » اعتمادا على « حسن نوايا الصديقة » بريطانيا .

ودخلت بعض الجيوش العربية سنة ١٩٤٨ فكان همها ان تنهي دور المقاتلين الفلسطينيين ، وان تفرض قراراتها ، فقاد ذلك الى قيام دولة الاحتلال الصهيوني وتشريد الشعب الفلسطيني .

ومنذ سنة ١٩٤٩ وهناك قوى عربية تعمل لضرب اي تحرك ثوري فلسطيني . وعندما انطلقت الثورة الفلسطينية سنة ١٩٦٥ واجهت من العقبات ما يعرفه الجميع .

واليوم يقوم تنسيق عربي واسع تشارك فيه اساسا المملكة العربية السعودية ومصر وانظمة التسوية ، هدفه انهاء الثورة الفلسطينية وتجريد الشعب الفلسطيني من سلاحه .

ان هذه المحاولات جميعا تصب في مجرى واحد ، وهو اخضاع الصراع العربي ـ الصهيوني لمقتضيات سياسات انظمة متخاذلة مساومة على القضايا الوطنية .

واذا كانت بعض القيادات العربية قد طالبت سنة ١٩٣٦ بالاعتماد على حسن نوايا الحليفة بريطانيا ، فان هناك قيادات تطالب اليوم بالاعتماد على حسن نوايا الولايات المتحدة الاميركية الصديقة .

ومع ذلك فان الصراع مستمر ، وهو اضرى اليوم منه في اي وقت مضى ... وامكانيات استمراره اكبر واوفر من اي وقت مضى .

هل نتحدث في ذلك كله حديثا عاما ونظريا ؟ هل نتجاهل الحقائق والوقائع ؟

اننا نطرح ذلك والواقع كله امامنا بحقائقه ووقائعه، ونحن نعرف الصعوبات التي نواجهها ، ولكننا امام خيارين : اما ان نقاتل وننتصر او ان نستسلم . ونحن مصممون على مواصلة القتال قادرون عليه . وكل الحقائق التي ذكرناها تساعدنا وتنصرنا .

ومع ذلك فانه لا يجوز لنا ان ننسى ونحن نؤكد ذلك كله ان هناك مهمات مرحلية فلسطينية وعربية لا بد من ايلائها كل اهتمام .

وعلى راس هذه الحقائق :

فلسطينيا :

١ ــ ضروره المحافظة على الثورة وحماية مكتسباتها وتطوير قدراتها على الصدام والتصدي داخل الارض المحتلة وخارجها .

٢ ــ التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الجبهة المتحدة الممثلة للشعب الفلسطيني ، والعمل لتطوير العلاقات الجبهوية داخلها وتطوير اجهزتها ومؤسساتها ، بحيث تمثل مطامح الشعب الفلسطيني ومصالحه خير تمثيل .

٣ ــ احباط كل المحاولات الرامية الى تفتيت المنظمة او فرض قيادات عليها ، لا تعبر عن ارادة جماهيرها ، ووقف اي تدخل في شؤونها يحد من استقلاليتها .

٤ ــ اعتبار الارض الفلسطينية ملكا للشعب الفلسطيني واعتبار اية ارض يجلو عنها العدو الصهيوني

قاعدة يستخدمها الشعب الفلسطيني لمواصلة النضال من اجل تحرير ارضه كلها ضمن أطار حركة الثورة العربية .

٥ ـ العمل على تعبئة كل الجماهير الفلسطينية في كل الوطن العربي والعالم وتدريبها وتنظيمها واعدادها لمعركة التحرير الشامل . ومقاومة أية محاولة للوقوف في وجه هذه التعبئة الشاملة .

٦ ـ ارساء أسس للعلاقات داخل منظمة التحرير وبين الفصائل الفلسطينية المختلفة تضمن تطوير الممارسات الديمقراطية وتعزز الوحدة وتحبط مساعي التفتيت والشرذمة .

٧ ـ مكافحة الدعوات الرامية الى اقناع قطاعات من جماهيرنا بالتعايش مع العدو الصهيوني أو الاعتراف به أو وقف القتال ضده (١) .

عربيا :

١ ـ ضرورة النضال لتوحيد كل القوى الوطنية والقومية والثورية والديمقراطية، على صعيد القطر الواحد وعلى صعيد الوطن العربي بأجمعه ، على برنامج يضمن التصدي للاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية المتآمرة .

.....

(١) هذه النقاط اقترحت على المؤتمر لتكون أساس لقاء واسع ضد الخط الاستسلامي .

٢ ــ تعبئة الجماهير العربية ضد سياسة الانفتاح على الولايات المتحدة الاميركية ومهادنة العدو الصهيوني وضرب الثورة الفلسطينية والقوى الشعبية العربية .

٣ ــ مكافحة الدعوات الرامية الى التعايش مع العدو الصهيوني أو مهادنته أو وقف القتال ضده .

٤ ــ النضال ضد قوى القمع والاضطهاد ومصادرة الحريات الديمقراطية .

٥ ــ النضال ضد مواقع الولايات المتحدة الاميركية ومصالحها والقوى التابعة لها في وطننا باعتبار الولايات المتحدة الاميركية من معسكر العدو الرئيسي .

التسوية ايديولوجيا

(دراسة نشرتها مجلة « فكر »
عدد ت٢ ـ ك١ ـ ١٩٧٧)

ـ ١ ـ

من الضروري أن نفهم علاقة التسوية بالايديولوجيا ، اذا اردنا أن نفهم التسوية . التسوية اتفاق يتم بالتراضي أو بالقوة مباشرة بين طرفين . وهذا الاتفاق تحدده طبيعة كل من الطرفين ، وطبيعة مطالبه ، كما يضع شروطه ميزان القوى . وتحدد ايديولوجية كل طرف موقفه في هذا الصراع ، كما يحدد وعي كل طرف ، وقدرته على استخدام قواه ، طبيعة التسوية ونتائجها ...

ولقد كانت التسوية منذ كان الصراع على الارض ، لم يمر عصر لم يعرف التسويات ، ولا عهد ، ولا دولة . وكانت التسوية تمثل دائما : ميزان قوى محدد في لحظة محددة ، ولكنها في الوقت عينه كانت تمثل حرص الغالب على تصفية قضية المغلوب ، ورضى بعض المغلوبين « المهزومين » أن يقبلوا بفتات الغالبين .

وكانت الايديولوجيا دائما موجودة في هذا الصراع من خلال ما يلي :

١ ـ وعي الظواهر وتفسيرها .

٢ ـ الموقف من الاخرين والعلاقات البشرية وعلاقات الانتـــاج .

٣ ـ التعبئة باشكالها المختلفة .

ومن هنا كان دور السياسة والادب والاعلام والفن ... فالاتفاق ، أي اتفاق ، يمثل مصالح الطرفين وميزان القوى بينهما ، وقدرة ممثلي كـل منهـما علـى تمثيـل مصالح الطرف الذي يمثلونه، والدفاع عنها وصيانتها. وكل طرف يحدد موقفه على أساس مصالحه ، ويجنـد لذلـك الايديولوجيا : السياسية والادب والفن .

الا أن الايديولوجيا ليست وسيلة فحسب ، انهـا الوعي الذي يحدد الموقف ايضا ، وهي بالتالي صانعـة القرار ومحددته .

— ٢ —

وفي كل صراع هناك طرفان : مالك ومعدم ، قـوي وضعيف، متخم وجائع ، مسلح واعزل، غالب ومغلوب.. ولقد كانت التسوية جوهر سياسة الطرف الاول دائما. انه الطرف الذي يملك ، ويعطي ، ويخشى الانهيار ، ويخاف الثورة ، ولذلك فهو يتجه نحو التسوية .

فكانت التسوية تستهدف دائما **اخضاع المعدم للمالك**، والضعيف للقوي والجائـع للمتخـم ، والاعـزل للمسلح والمغلوب للغالب ، والالتفاف على مطالـب المقهوريـن ، وبالتالي فسياسة التسوية اساسا ليست سياسة ثورية ، **بل سياسة مضادة للثورة** . ومن هنا تأتي خطورتها .

ولذلك ادخلت القوة السائدة التسوية في صلب سياستها ، وجعلتها جزءا من برامجها . وكانت التسوية تأخذ دائما تعبيرات متعددة ، واشكالا مختلفة ، الا انها من حيث الجوهر لا تتعدى حالتين :

الاولى : التصفية ، السحق ، المحق ، اي استخدام اقصى اشكال العنف لاخضاع الطرف الاخر .

الثانية : الاسترضاء ، وهي عبارة عن تقديم تنازلات تافهة لفئة محدودة من المغلوبين . ولذلك كانت القوة السائدة تستخدم دائما وسائل متعددة لتحقيق هذه الغاية . فهي من جهة توحد نفسها ، تبني قواها ، تنظم اجهزة قمعها ، لتكون قوية دائما ، وقادرة دائما . انها تعد هذه القوة هي الضمان الاساسي لبقائها . ولذلك يبنى الجيش الكبير وقوات الامن واجهزة المخابرات ، وتعطى للدولة هيبة لا حدود لها .

ثم يقام الى جانب ذلك « نظام ايديولوجي » كامل : سياسة وفلسفة وادب واعلام وفن ومؤسسات تجسد ذلك كله . ووظيفة هذا النظام ان يوطد السلطة بأساليب مختلفة . فهو من جهة يربط ارادة الحاكم بارادة الله ، ويجعل طاعة الحاكمين من طاعة الله ... وهكذا يصبح الحاكم معصوما ، وتصبح مهمة المحكومين ان يمجدوا الله في شخصية الحاكم . ان هدف هذا كله بالطبع ان **تلغى ارادة الطبقات المقهورة** ، ويسخر الفلاسفة والادباء والفنانون الرجعيون لخدمة هذا الغرض .

ان هدف الايديولوجيا الرجعية يتلخص دائما في محاولة شل ارادة الطبقات المقهورة بوسائل مختلفة .

منها ما يتصل بغرض السلبية عليهم ، ومنهـا مـا يتصل بتثبيط هممهم وزرع الفرقة بينهم ، وبتشكيكهـم بأنفسهم وقدراتهم واثارة الصراعات الثانوية بينهم .

— ٣ —

ويلعب هذا كله دورا هاما في بلبلة الطبقات المقهورة. **ان الضعف ونقص الوعي ، ووجود قوات وسطية يقـود عادة الى بروز فئة تساوم ، تفاوض وتقبـل التسويـة .** ويتجلي هذا عادة عندما يكون وعـي الجماهيـر قاصرا ، وعندما تكون ما زالت عاجزة عن تنظيم نفسها وتحديـد برنامجها وبناء قوتها . ففي هذه الحالة تقفز قوة وسطية وتساوم . تطالب مكاسب لنفسها باسم الجماهير . وهي تستغل نقمة الجماهير وغضبها لتحقيق انجازات لنفسها ، وتزن الامور بميزان حساس ، فاذا وجدت الامور متفاقمة، والسلطة الحاكمة **مضطربة تشـددت في مطالبـها** ، واذا وجدت ان السلطة موحدة والهبة الجماهيريـة ضعيفـة طرحت طالب معتدلة ، وهكذا ... فاذا احتدم الصراع ، ووجدت نفسها أمام خطر حقيقي ، ساومت وخانت .

وتميل هذه الفئات الوسطية دائما لخداع الجماهير، واستغلال طيبتها وعفويتها لتحقيق مكاسب خاصة ، انها تطرح مطالب الجماهير .. لتأخذ شيئا لنفسها . وهـي لا تساعد الجماهير على مواصلة مسيرتها ، بل تعمل علـى افساد وعيها وبلبلتها والهائها بقضايا ثانوية .

ويلجأ المستعمر دائما الى الدعق اولا ، ثم الـى الاسترضاء . وهو يسترضي فئة مـن متزعمـي حركـة الاستقلال بامتيازات شخصية. فاذا مضت حركة الاستقلال

قدما قدمت مشروع حكم ذاتي ومعاهدة ... وهكذا يتفق مع القيادة الجديدة « الوطنية الاستقلالية » على ضرب حركة الجماهير ، وابقاء المستعمرة مستعمرة في الواقع ، وان اخذت **« حكما ذاتيا »** من حيث الشكل ، او اصبحت « دولة مستقلة » بالاسم ، وبات لها علم ودستور ومجلس أمة .

وفي الصراع الطبقي الداخلي تلجأ الطبقة الحاكمة الى سحق الطبقة او الطبقات المحكومة ، ولكنها تضطر احيانا الى تقديم تنازلات ، فتقدمها لتكسب الفئات الوسطية ، ثم لتكسب قيادات العمال ، ولتخلق واقعا مسيطرا عليه .

وفي الحالتين ، **الاولى والثانية** تلجأ القوة السائدة الى اقناع الطبقات المقهورة بالابتعاد عن طريق الشغب والعنف واللجوء الى المفاوضة . فاذا رفضت هذه الطبقات وامتشقت السلاح ، قامت القوة السائدة بالضرب العنيف القوي . والهدف طبعا السحق . وتظل القوة السائدة تطرح ان المفاوضة طريق السلام . **ولكنها لا تقبل مفاوضة تكون فيها الطبقات المقهورة قوية ... وتعمل على تدمير القوة الشعبية** . فاذا تيسر لها تحقيق اهدافها ضربت بيد من حديد ، واعلنت « استتباب السلام » ، واذا وجدت الامر معقدا والقوى الشعبية متماسكة ، قدمت تنازلات تافهة لاشخاص من طبقة او حتى لقطاع فيها ، واستخدمت هؤلاء الاشخاص او هذا القطاع اداة لضرب الشعب كله واهدافه .

ان دور الفئات الوسيطة والوسطية خطر جدا ، وهي تلعب دورا لمصلحة القوة السائدة دائما ، وضد

مصلحة الطبقات المقهورة دائما . وهي تسقط اذا انتصر الحاكمون او المحكومون . ودورها متمم لدور النظام، ومبلبل ومفتت ومثبط للهمم في معظم الاحيان ، ويظهر ذلك كله في نتائجه اكثر مما يظهر في مقدماته .

— ٤ —

ولكن هل يعني ذلك ان المساومة غير مقبولة اطلاقا، وان الثورة تعني هجوما مستمرا ، بلا توقف ولا هدنة ، ولا تراجعات ؟ لا طبعا ... **ان الثورات تعرف المساومة ،** وهي ليست هجوما مستمرا ، ولذلك فهي تتوقف احيانا ، وتهادن في احيان أخرى ، وتتراجع في كثير من الاحيان . **هذا شيء والتسوية شيء اخر .** ان التاريخ زاخر بالوقائع حول هذه القضايا ، ولا حاجة بنا الى استرجاع كثير من الامثلة .

نود هنا ان نفرق بين قضايا الاستراتيجية والتكتيك في الثورة والتسوية . **ان تكتيك المساومة او المهادنة ، التراجع او حتى التقهقر شيء وسياسة التسوية شيء اخر .** ان ظروف المعركة تفرض في كثير من الاحيان المساومة او المهادنة ، التراجع او حتى التقهقر . ولا خطر من ذلك ما دام جزءا من سياسة ثورية ، ونتيجة ظروف الكر والفر في المعركة . ولا خطر منه ما دام لخدمة مخطط الثورة واهدافها وعملياتها . ولكنه يكون خطرا وحتى قاتلا اذا كان جزءا من سياسة تسوية .

وهذه القضية بحاجة الى ايضاح . لان القوى الثورية بحاجة الى التاكتيك وبحاجة اليه دائما . والكر والفر من طبيعة كل الحروب والمعارك السياسية . وبالتالي فان

المساومة والمهادنة والتراجع وحتى التقهقر ستبقى جزءا من العملية الثورية . ولا عملية ثورية بدونها . ولكن المسيرة الثورية تمثل تمسكا بالمبادىء دفاعا عنها ، روحا هجومية حتى عند الدفاع والتراجع ، استعدادا للقتال حتى عند التقهقر . اما التسوية فتعني الاستسلام ، استسلام قوة معينة في لحظة معينة . وهذا هو الفارق الذي نود ان نؤكد عليه بين المساومة التي تكون جزءا من العملية الثورية ، والتسوية التي تكون دائما نقيضها .

في التسوية تسقط القوى الثورية او تنتهي ، اما في المساومة المرافقة للعملية الثورية ، فان القوى الثورية تحتفظ بارادة القتال ، وتظل تعمل من أجل المعركة ، وتستعد لها ، والفارق بالطبع كبير .

نرى هذا التفريق ضروريا ، لان القوى الوسطية تطرح دائما على الثوريين مجموعة من الاسئلة الماكرة . تقول لهم : هل تريدون اخذ كل شيء مرة واحدة ، هل تظنون انكم قادرون على مواصلة المعركة بلا توقف ؟ الا تعتقدون انكم ان اخذتم شيئا فسوف يساعدكم على اخذ اشياء اخرى ؟ واسئلة اخرى مشابهة . ثم يطرحون قضية التسوية على اساس ان ما لم ننجزه نحن ، سوف تنجزه اجيال اخرى ، في ظروف اخرى . والاجوبة على هذه الاسئلة ، هي التي تحدد بالضبط ان كانت خطواتنا ضمن العملية الثورية او خارجها .

ان الذين يبررون عدم اخذ كل شيء مرة واحدة ، ليطرحوا قضية التسوية ، يخرجون من العملية الثورية . فالعملية الثورية عملية تاريخية ، وهي تنجز الاستقلال

او الثورة الاشتراكية عبر الصراع الطويل ، وتحقق خطوات دائما على الطريق . ولذلك فان **العملية الثورية** لا تدعي السحر ، ولا الالوهية ، وهي لا تملك القدرة على ان تقول كن فيكون . **انها قتال طويل** ، فيه صدام ومناورة ، تراجع وتقدم ، ولكنه صراع متصل ، يتمسك بالمبادىء ، ويخضع كل الخطوات لها . ولا يضحي بالكل من اجل الجزء . وفي اللحظة التي يتعرض فيها البتر ، او تنفصل فيه الخطوات عن المبادىء ، او المناورة عن الصدام ، او التراجع عن التقدم ، يكون قد فقد سماته الاساسية ، وانتهى باعتباره قتالا . وهنا تأتي التسوية باشكالها المختلفة .

نحن اذن نرى التسوية جزءا من عملية الاستسلام ، ونرى ان المساومة والمهادنة ، التراجع او حتى التقهقر ، يجب ان تكون جزءا من العملية الثورية ولخدمتها ، والا فانها ستقود الى التسوية . ولهذا شددنا على التفريق بين الحالتين .

— ٥ —

ان الايديولوجية السائدة ، هي ايديولوجية الطبقة السائدة ، لان « افكار الطبقة السائدة هي ايضا الافكار السائدة » ولان « الطبقة التي هي القوة المادية السائدة في المجتمع هي ايضا القوة الروحية السائدة » ولان : « الطبقة التي تملك وسائل الانتاج المادي تكون ايضا مالكة لوسائل الانتاج الفكري » (١) . ولذلك فان للغالبين ، الحاكمين قوتهم الايديولوجية . انهم لا يملكون وسائل الانتاج المادية

.....

١ — جورج طرابيشي : الماركسية والايديولوجيا ، دار الطليعة ص ٣٧ .

فقط ، بل وسائل الانتاج الفكرية ايضا . ان الامكانيات اذن متوافرة في ايديهم ماديا ، وبالتالي معنويا . ومن هنا يقهرون بالجيوش وبالكتب ، بالموسيقى العسكرية والطبول وبالاغاني العابثة ، بهيبة القصور وبرهبة الافكار .

وتحاول الطبقة السائدة ان تعطي لفكرها صفة الشمول والاطلاق ، لانها تريد ان تعطي لسيادتها صفة الشمول والاطلاق . لا فكر غير فكرها . وفكرها الوحيد الصحيح الشافي ، اما ما عداه فسخف او هرطقة .

ان هذه الشمولية او الاطلاقية هي شكل القمع في ميدان الفكر والادب ، كما ان السلطة السياسية المطلقة هي شكل القمع في ميدان السياسة والاقتصاد . وتعمل الايديولوجيا السائدة على ان تحدد للطبقة السائدة صورتها عن نفسها ، وهي صورة القوة والعبقرية والعنجهية . انها تريد ان توطد نفسها ، ان تجمع افراد الطبقة على مبادىء معينة ، وان تشحنهم بقوة وفعالية للوقوف في وجه الاخرين . كما تعمل لتحديد صورتها لنفسها وتكريسها لدى الاخرى ، ووظيفة هذه الصورة ان تجمع الحزم الى الرأفة ، والعظمة الى الشفقة ، لكي تبقي الاتباع خاضعين وآملين بالعطف . كما تعمل لتحديد صورة للطبقات الاخرى تكون في خدمتها . وهذه الصورة تحط من صورة هذه الطبقات ، فهي طبقات شريرة ميالة للفساد ، لا تصلح الا بالقوة والعنف ، ولا يجوز اعطاءها فرصة لابداء الرأي ، او السماح بالتنفس (٢) .

.....

٢ — جورج طرابيشي : المرجع السابق ٤٦ — ٤٧ .

والطبقة السائدة ، او الفئة الغالبة هي التي تسوي مشاكل الاخرين ، لانها تحكمهم ، ولانها مسؤولة عنهم . وهي تسوي مشاكلهم ضمن النظام العام ، لا بالخروج عليه ، فاذا خرجوا ادبتهم ، واقنعتهم انها قوية وبطاشة ، ثم نظرت في امورهم ، وارتهم « عدالتها » . انها بحاجة لان تحس بانها ليست ظالمة ، بل وهي فوق ذلك عادلة . تحزم لقضع الامور في نصابها ، ولكنها تنظر بعين العطف الى قضايا المضطهدين ، وليس مطلوبا من المضطهدين وحدهم ان يضحوا ، لانها هي تضحي ايضا . ولكن أية تضحية . انها تحسن شروط حياة الطبقات المقهورة حتى لا تثور ، وتعطي العمال بعض الحقوق لتحسن ظروف التطور الراسمالي والاستغلال ... وهكذا ... ان العدل والعطف جزء من عملية الاستغلال عينها . وهي تتم ضمن رؤية دوام الاضطهاد والاستغلال في أحسن شروطهما .

ولهذا كان دائما تحرر المغلوبين يعني انهاء سيطرة الغالبين ، وتحرر البروليتاريا يعني اسقاط سلطة البرجوازية . ولم تكن التسوية في الحالتين لصلحة المغلوبين ، ولا كانت جزءا من مخططهم ، بل كانت جزءا من مخطط الطبقة السائدة او الفئة الغالبة .

ان شمولية السيادة الرجعية واطلاقيتها ، تتطلب شمولية الثورة واطلاقيتها ، بمعنى ان هذه الحالة هي نقيض تلك . واذا حدث تداخل عبر العملية الثورية ، فلان عملية التقدم والتقهقر ، والكر والفر تقود الى اختراق حصون القوى السائدة ، والى تداخل القوات المتصارعة . ولكن العملية الثورية تحبط او تتبدد اذا تحول التداخل الى تداخل ايديولوجي ، وزالت الحدود ، واذا فرضت الطبقة

السائدة ايديولوجيتها على الطبقات المقهورة ، وطلائعها المتقدمة خاصة .

ان كل الثورات التي احبطت وتلاشت ، لم تكن هزيمتها بسبب خسارة المعركة عسكريا ، بل بسبب هزيمة قيادتها ايديولوجيا ، وخضوع جماهيرها من جديد للطبقة السائدة وايديولوجيتها ، ولذلك فان الطبقة السائده تعمل دائما على ايقاع الهزيمة الايديولوجية بالخصم، قبل الهزيمة العسكرية ، وتعلم جيدا ان الهزيمة العسكرية لا تقود الى هزيمة ساحقة، ولكن الهزيمة الايديولوجية تحقق ذلك ...

— ٦ —

ومن هنا كانت القوى السائدة تلجأ دائما الى المعركة الايديولوجية باعتبار ان الذي يكسب المعركة السياسية ، يكسب المعركة العسكرية .

ولذلك كانت القوى السائدة تلجأ دائما الى ما يلي :

اولا : معاداة الديمقراطية :

انها باعتبارها طبقة سائدة ، او قوة غالبة تسحق الطبقات المقهورة ماديا ومعنويا . انها تؤكد سلطتها وسيادتها الكلية الشاملة ، ويأخذ موقفها في هذا الميدان وجهين مترابطين : احدهما الدفاع المطلق عن حق الطبقة السائدة في القيادة والسيادة ، وثانيهما ، سحق الطبقات الاخرى وتسخيف كل التعبيرات الايديولوجية التي تتمخض عنها .

وهكذا يصبح اسم سيادة السلطة ، النظام . واسم تحرك الجماهير ، اي تحرك ، الشغب . وهكذا يلقب

الطاغية المستبد بالعادل الرحيم ، ويطلق على السلطة العشوائية الغاشمة اسم السلطة الرشيدة. وهكذا تسمى الدعوة الى النضال ضد الاستبداد اعتداء على الحرمات ، وافتئاتا على السلطات ، وانتهاكا للسلطات الشرعية ، ويصير اسم الديمقراطية الفوضى ، واسم العاملين من اجلها المشاغبين والمخربين .

ولذلك تقوم السلطة السائدة « الشرعية » بفرض وصاية على الفكر والصحافة والاعلام ، وتوجهها بما يخدم مصالحها . وهي تمنع ما تراه « خطيرا » وتحرم ما تراه ماسا بسلطتها او هيبتها ، وتحاكم الخارجين باسم القانون ، او تقتلهم وتسجنهم باسم النظام والمصلحة العامة .

ان معاداة الديمقراطية من السمات الاساسية للايديولوجيا الرجعية ، لانها تجسد موقفها من نفسها وسلطاتها ، ومن موقف الطبقات الاخرى منها .

ان عداءها للديمقراطية يتحول الى دفاع عن افراد محدودين او طبقة منفردة ، او فئة من طبقة . وهذا الدفاع عن المتفردين بالسلطة يتجلى في اشكال متنوعة من القمع والعنف الذي يضمن لهم البقاء والسيطرة واستمرار الاستغلال .

ثانيا : استغلال الايديولوجية الغيبية :

ان القوى السائدة تستفيد من التخلف ، وخاصة في الريف والاحياء الشعبية من المدن ، ولذلك فانها تستغل تاثير كل التعبيرات الايديولوجية الغيبية في الدين والتقاليد والاعراف . انها تجعل الماضي مقدسا ، والغيب علما

والتسليم خلاصا . ولذلك ترتهن الامور كلها بالاقدار ، ويصبح موضوع المآسي نقمة الهية ، وغنى القلة حظوظا وشقاء الاغلبية مسألة حظ سيىء . وبهذا يصبح الدفاع عن التخلف والقهر محافظة على « القدر » و « المكتوب » ، فلا راد لمشيئة الله . والذين يشقون على الارض يسعدون في السماء . وسعادة الارض مؤقتة ، أما سعادة السماء فخالدة . وسعادة الارض ملذة ومتعة فانية .

ان القوى السائدة تستغل كل ما في الايديولوجية الغيبية من طاقة لاقناع المقهورين بقهرهم ، ولاكساب الشقاء والفقر السمة الطبيعية ، ولاعطاء البؤس اسبابا مقنعة غير مشكوك بمصداقيتها ، لانها تعود الى السماء ولا تعود للارض . وبالتالي فان القوى السائدة ليست مسؤولة عن الشقاء والبؤس والقهر ، انها ممثلة العناية الالهية على الارض ، او ممثلة المصلحة العمومية ، و «لكن الله يعطي من يشاء ...» .

وانطلاقا من هذا كله ، يأخذ الدفاع عن التخلف والاستغلال والاضطهاد اشكالا متنوعة ، ولكنه يؤدي الى نتيجة واحدة : الدفاع عن البؤس والقهر والجوع والقمع.

ثالثا : استخدام التكتيكات المختلفة :

وتختلف هذه التكتيكات باختلاف الزمان والمكان ، ولكنها تندرج تحت البنود التالية :

أ ــ المساومة على الجزء بدلا من الكل : انها تطرح للطبقات المقهورة دائما الجزء ، الجزئي ، ولكن القوى السائدة ، فهي حامية الحمى ، ومسؤولة النظام، والمدافعة

عن مصالح الشعب ، وهي العاقلة والرشيدة . وهي تعطي ، ولكن ضمن السيادة والنظام . ولذلك فان القوى السائدة تطالب الطبقات المقهورة ان تطرح الكلي جانبا ، وان تفكر بالجزئي . فاذا طرحت الشعوب المضطهدة الاستقلال ، ضربت وتمت مساومتها على تحسين نظام الحكم في المستعمرات ، واذا ما ناضلت وحققت بعض الانتصارات ، جرت مساومتها على الحكم الذاتي ، واذا اقتربت من تحقيق الاستقلال ، اعطيت فئة منها حكما ذاتيا وهكذا ... وهذا ما يحدث مع الطبقة العاملة في نضالها. فاذا طرحت قضية السلطة طولبت بطرح قضية الاجور ، واذا طرحت قضية الاجور سوومت عليها ... وهكذا .

ان الطبقات المقهورة مطالبة دائما ان تتخلى عن الكلي ، وان تطلب الجزئي ، ان تتخلى عن الاستقلال وتطلب تحسين الاوضاع ، وان تتخلى عن السلطة وتطالب بتحسين الاجور ، وهكذا .

ان هذا اول التكتيكات واهمها واخطرها .

ب ـ تفتيت القوى المناضلة : ان القوى المناضلة يجب ان تتحد لتنتصر . ولما كانت القوى السائدة تعرف هذه الحقيقة كانت تلجأ دائما الى تفريق القوى المناضلة . فاما ان تشق على اسس دينية ، او اثنية ، او قبلية ، او باثارة النزاع بين الطبقات المتحالفة ذات المصلحة في التحالف .

فاذا كانت بعض طقوس الدين ذات تأثير قوي على الجماهير استخدمت اداة لضرب حركة التقدم . وهكذا تصبح الطقوس الدينية نقيض العلم والتقدم ، ورجل الدين

نقيض رجل العلم ، والتقي نقيض المناضل ، والفلسفة الروحية نقيض الفلسفة المادية . واذا كانت هنالك مذاهب دينية مختلفة ، كما في وطننا ، تم تأليب اتباع مذهب معين ضد المذهب الاخر ، وجرى استغلال المصالح المتناقضة للقيادات المختلفة من المذهبين ، وجرت محاولات لتضليل اتباع مذهب ضد المذهب الآخر .

واذا كان هنالك تحالف طبقي بين اكثر من طبقة ضد القوى السائدة ، تم التفاهم مع اقربها الى القوى السائدة لضرب الطبقات الاخرى . وهكذا ...

ان عملية التفتيت تستغل كل التناقضات في المجتمع، لتستثير كل الرواسب المتخلفة ، ولتحرف الصراع عن مجراه الحقيقي . وهكذا تدفع الفئات ذات المصلحة الواحدة للصراع فيما بينها ، بدلا من ان تخوض الصراع مع العدو الكبير ، وتحل خلافاتها سلميا. وهكذا أيضا تدفع الطبقات ذات المصلحة في التحالف مرحليا الى الاقتتال ، بدلا من أن توحد قواها ضد العدو الواحد . ان اثارة التناقضات الثانوية وتضخيمها وتحويلها الى قتال داخلي من الاساليب التي تتبعها القوى السائدة لتفتيت ارادة الطبقات المقهورة .

— ٧ —

لقد انتهجت القوى السائدة في العصر الحديث نهج التسوية في كل صراعاتها الداخلية والخارجية . هذا ما فعلته السلطات الرأسمالية الاوروبية مع الطبقة العاملة، وهذا ما فعلته في المستعمرات . وبهذا حلت معظم مشاكلها ، فأفسدت اقساما من الطبقات العاملة ، وحولتها

عن ثورتها الى المساومة الاقتصادية حتى باتت قضية الاجور وتحسين مستوى المعيشة الهدف الاعلى لاقسام كبيرة منها . لقد ضربت برنامجها السياسي ، واقتنعت قطاعات منها بالتحول الى « البرنامج الديمقراطي » البرجوازي في الصراع على السلطة . وهكذا عاشت السلطة الاستغلالية في بريطانيا او فرنسا او الدنمارك حتى الان .

أما فيما يتعلق بالمستعمرات فقد تم تطبيق النهج عينه. ونجح في حالات عديدة. لقد احبطت الحركات الاستقلالية في آسيا وافريقيا زمنا طويلا . ثم اضطرت بريطانيا وفرنسا القوتان الاستعماريتان الكبريان للتراجع خطوة خطوة ، فأخذت بعض الدول إستقلالا شكليا . وعندما بدأت الاستقلالية تتسع وتتعمق مع بداية الخمسينات ، دخلت الامبريالية الاميركية قوة جديدة ، وفرضت حكومات عميلة على الدول المستقلة . وما زال الصراع محتدما .

والان تطبق الولايات المتحدة الاميركية نهج التسوية المعقدة على كل المشاكل العالمية . وهي لذلك تنشر ايديولوجية الرأسمالية العالمية في كل بقاع الارض ، وتعمم على كل العالم « فضائل » الرأسمالية و « مباذل » الاشتراكية . وهي تعمل على سلب الدول المستقلة استقلالها ، باخضاع اقتصادها للسوق الرأسمالية العالمية ، وباتباعها سياسة الولايات المتحدة الاميركية . كما انها تعمل على نقل الصراع الى داخل الدول الاشتراكية .

وتلجأ الولايات المتحدة الاميركية الى طرح قضية السلام ، وحقوق الانسان ، بينما تعمل على تشجيع

الانظمة العسكرية القمعية ، وتأجيج نيران **الحروب المحدودة** ، والعمل على تكديس **الاسلحة الاستراتيجية** . وتعمل في الوقت عينه لتسوية المشاكل العالمية بهذا النهج. الحل للقوة دائما ، والسحق هو الاساس في التعامل. والى جانب السحق تطرح التسويات ، ولكنها تبقى احد وجوه السياسة الاميركية . انها تتحدث عن التسوية وتضرب ، تطرح مشاريع التسوية وتخادع ، ولا تعطي شيئا للذين ينهزمون او يتنازلون . هذا ما حدث في فياتنام ولاوس وكمبوديا . خاضت الحرب حتى أصبحت الحرب عبئا لا يطاق بالنسبة لها . ثم تراجعت ، بعد ان استحال عليها الصمود . ولم تترك لها القوى الثورية في فيتنام ولاوس وكمبوديا فرصة للمناورة ، ذلك انها احبطت كل مناوراتها، كما افشلت كل هجماتها ، بالحرب وبالسياسة . وعندما هزمت انسحبت ، وحصلت شعوب الهند الصينية على استقلالها .

ولقد نقلت الولايات المتحدة الاميركية مركز ثقلها الى الوطن العربي واوروبة وافريقيا. ففي الوطن العربي تعمل الولايات المتحدة الاميركية الان على ما يلي :

١ ــ أخذ زمام الامور بيدها ، وعدم السماح بانفجار الاوضاع خارج مخططاتها . وهذا يعني تحديد الدور الصهيوني ، وأدوار القوى الرجعية العربية . ان هذا يزعج العدو الصهيوني ، الذي اعتاد ان يكون حرا طليقا في حركاته ، ويحظى بالتأييد الكامل في كل شيء . ولكنه يرضي اقساما من الرأسمالية الاميركية التي تريد ان تحس بأن مصالحها مؤمنة ، وانه ليس بامكان اية قوة ، ان تقودها الى المأزق . ولكن الحكومة الاميركية تفعل ذلك ،

وهي تخضع لظروف مختلفة . فمن جهة هنـــاك الضغط الصهيوني الداخلي ، وضغط الاوساط الراسمالية المؤيدة له . ومن جهة هناك ضغـــط دولـــة الكيـــان الصهيوني وتأثيراتها المختلفة . وهناك ، من جهة ثالثة ، النهج الذي سارت عليه الحكومات الاميركية السابقة ، والتقاليد التي اتبعتها . ان ذلك كله يجعل السياسة الاميركيـــة تجـــاه العدو الصهيوني مزدوجة ، انها تعطيه بسخاء ، لانها تريده ان يكون قويا ، وهي تحاول ان ترسم له حدود سياسته . ومن هنا تنشأ التناقضات . لان العدو الصهيوني يريد ان يأخذ ما يريد ، ولا تتحدد حدود سياسته .

وتعمل الولايات المتحدة الاميركية من جهة اخرى على كسب الانظمة العربية ، وتقديم بعض فرص النجاح لها . ولذلك فانها تمدها بالقروض والمساعـــدات مـــن جهـــة ، وتعدها من جهة ثانية بالضغط على العـــدو الصهيوني . ولكنها لا تعطي للدول العربية كثيرا ، لا تعطيها الاسلحة ، ولا تقدم لها المساعدات الاقتصادية المطلوبة ، ولا تضغط على العدو الصهيوني الضغط الذي تطلبه الانظمة العربية. وهي بذلك تريد المزيد من التنازلات العربية ، وعلى وجـــه الخصوص ضرب المقاومة والقوى الوطنية العربية ، وقطع العلاقات مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية. وتأخذ الولايات المتحدة الاميركية ، فوق ذلك ، نفط دول متعددة، وتستثمر البترودولار كما تشاء .

أما فلسطينيا، فقد تلطفت الولايات المتحدة الاميركية، بعد كل التضحيات الفلسطينية ، وبعد كل الضغط العربي وبعد الجهود السوفياتية « المضنية » فأعترفـــت بكلمـــة « حقوق وطنية » للشعب الفلسطيني ، وانكرت علـــى

الشعب الفلسطيني حقه في ان يثور ، واشترطت اعتراف منظمة التحرير بالقرار ٢٤٢ للاعتراف بها . وقامت الولايات المتحدة الاميركية في الوقت عينه بالتخطيط لكل ما حدث في الاردن ولبنان واماكن اخرى ضد الثورة الفلسطينية . وهكذا يتضح معنى التسوية الاميركية . انها تعني :

١ ــ سيطرة الولايات المتحدة الاميركية على الصراع ، واخذها مقاليد الامور بيديها مباشرة ، ورسم حدود سياسات القوى المختلفة في الوطن العربي .

٢ ــ تصفية الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية العربية .

٣ ــ تكوين مراكز قوى رجعية في الوطن العربي ، على اسس طائفية او قبلية، تضمن هيمنة القوى الرجعية، وتضرب القوى الثورية ، وتنهي التحالف مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، وتقيم مواقع قوية للولايات المتحدة الاميركية .

ان السياسة الاميركية تستفيد من كل خبرات القوى المضادة للثورة في حروبها السابقة . وهي تلجأ الى التسوية نهجا لتصفية القضايا والثورات وضرب حركات الشعوب . وبرنامجها في الوطن العربي ، وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، واضح ومكشوف .

ــ ٨ ــ

واذا عدنا الى القضية الفلسطينية منذ سنة ١٩١٧ ، فاننا سنجد برنامج التسوية امامنا واضحا . ولقد كانت هنالك اربع قوى تعمل في هذا المجال .

ـ الحركة الصهيونية ، وكان يهمها :

أ ـ تدفق الهجرة وتيسير امر شراء الارض ، الاستيلاء عليها .

ب ـ تخفيف نقمة العرب ، واجهاض حركاتهم الشعبية ، واخضاعهم للاستعمار البريطاني .

جـ ـ تفتيت الحركة الوطنية العربية في فلسطين باثارة كل التناقضات الثانوية .

د ـ زيادة الاستعدادات الصهيونية ، ومنع اي استعداد عربي .

ـ الاستعمار البريطاني ، وكان يهمه :

أ ـ استمرار الانتداب .

ب ـ تطبيق وعد بلفور بأقل الاشكالات الممكنة .

جـ ـ سحق القوى الوطنية العربية واخضاعها .

د ـ ابقاء الحركة الصهيونية ضمن البرنامج البريطاني .

ـ القيادات الفلسطينية ، وكان يهمها :

أ ـ استمرار زعامتها والتفاف الجماهير حولها .

ب ـ وقف الهجرة .

جـ ـ انتهاء الانتداب ، واقامة دولة فلسطينية مستقلة ، متحالفة مع بريطانيا .

د ـ تطور مصالحها الاقتصادية .

ـ الانظمة العربية :

وكان يهم كل منها مصالحه، وعلاقاته مع البريطانيين، وعدم احراجه داخليا، بسبب انفجار الثورات في فلسطين.

ولذلك كانت الحركة الصهيونية حريصة على اقامة علاقات « ود » مع الانتداب ، حتى سنة ١٩٤١ ، لتنفذ من خلال هذا الرضى الى الارض ، وتجتاز الحدود بالمهاجرين ، وتحقق ما تريد ، أما الاستعمار البريطاني فكان حريصا على كسب القيادات الفلسطينية ذات المصلحة ، وعلى تنفيذ البرنامج الصهيوني الذي التزمت به الحكومة البريطانية .

وكانت الحركة الصهيونية تدعو دائما الى الحوار ، وهي تعمل لبناء الدولة الصهيونية . انها تسعى لمفاوضة العرب دائما ، ولمناقشة قياداتهم ، وهي تدعو الى تطوير فلسطين واستثمار أراضيها الخ ... وهدفها في هذا كله تخفيف النقمة ، وكسب الوقت ، وتمييع القضية .

أما الحكومة البريطانية ، فقد كانت تسعى دائما لقمع الجماهير الساخطة ، ولاسترضاء القيادات . ولذلك كانت توفر وسائل الاسترضاء لذوي المصالح ، بقدر الامكان وتقنع القيادات أنها ضد الشعب ، ومع التفاهم . وكانت تفتح أبوابها للمراجعين في حدود ، وتشجع فكرة الزيارات للندن ، وتستدعي اللجان للتحقيق ، وعندما تتعقد الامور تطلق الوعود المدروسة .

أما القيادات الفلسطينية ، فكانت مع التفاهم ضد الشعب ، ومع دبلوماسية الزيارات والوعود ضد سياسة الثورة .

وكان دور الانظمة العربية ان تكبح جماح الشعب الفلسطيني بالوعود ، وان تضمن استقرار مصالحها ، ودوام حسن علاقاتها بالبريطانيين .

ولذلك ضاع معظم فلسطين سنة ١٩٤٩ ، وقامت الدولة الصهيونية . وكانت هذه النتيجة الحتمية **لسياسة التسوية .**

ان هذا كله يقودنا الى موضوع التسوية حاليا ، ويمكن تناول الموضوع من الزوايا التالية :

اولا : ان سياسة التسوية هي السياسة الصهيونية في الاساس . والدولة الصهيونية كلها ، يهمها طرح موضوع التسوية لاسباب عدة منها :

ـ اشعار العالم كله أن القوة المحتلة ، والكيان الاستيطاني همهما السلام . واذا كان قيام « اسرائيل » قد ادى الى آلام ، فان « اسرائيل » معنية بالمساهمة في حل الاشكالات الناتجة عن وجودها ، اي أن القاتل حريص على اظهار الرأفة على الضحية . ويستهدف هذا الموقف تعطيل الضغط المتزايد على الكيان الصهيوني ، وتحويله من تفكير بأساس القضية ، الى تفكير بفرع من فروعها .

ـ اقناع قطاعات واسعة من جماهيرها ، بأنها تعمل للسلام ، ولكن العرب يرفضون التفاهم . ولذلك فان اللجوء للحرب ناتج عن تعنت العرب . ان الحكومة الصهيونية ترغب في السلام ، وتطرح مسالة التعويض والاسكان والسلام ، ولكن العرب يرفضون .

ـ السعي لاقناع بعض الفلسطينيين بامكانية الحل على اساس المقترحات الصهيونية . وصحيح أن هذا صعب لان اية تسوية تمس الشعب الفلسطيني كله : مصالحه وكرامته الشخصية والوطنية . ولكن الزمن قد يقود الى خلق تجمعات مستعدة لقبول التسوية الواقعية .

ثم أن العدو الصهيوني لا يتحدث عن التسوية والسلام فحسب . بل يعمل على بناء قوته ، وتكديس اسلحته والاستعداد للحرب . وهو يضرب بعنف وشراسة في الداخل لمنع نمو قوى شعبية معارضة ، وعلى الحدود لضرب تجمعات المقاومة ، والجيوش العربية ، حتى الرجعية الخاضعة لقيادات معادية لشعوبها ، ومرتبطة بالمخطط الامبريالي .

كما أن العدو الصهيوني يعمل لتفتيت ارادة القتال العربية ، ولاثارة كل النعرات القبلية والمذهبية المتخلفة ، وللمحافظة على كل اشكال التخلف .

ثانيا : وسياسة التسوية **هي السياسة** الاميركية ايضا ، الان ، لان الولايات المتحدة الاميركية ، يهمها بقاء الوضع الراهن ، والسيطرة على اية تغييرات فيه ، مهما كان نوعها ولونها . لان اي تغيير ثوري لا يهدد أمن الكيان الصهيوني فحسب ، بل ويهدد مصالح الولايات المتحده الاميركية ايضا . ولذلك فان الحال بالنسبة للسياسة الاميركية ، هي الحال بالنسبة للسياسة البريطانية سابقا دولة امبريالية تعتبر نفسها مسؤولة عن الامن والسلام في العالم عامة ، وفي ما يسمى الشرق الاوسط خاصة . وهي تعمل لفرض السلام الذي يضمن مصالحها .

ومن هنا تنظر الولايات المتحدة الاميركية للتسوية ، وتعمل لها . انها سياستها في العالم عامة ، وفي أماكن التوتر خاصة .

ثالثا : وسياسة التسوية هي سياسة الانظمة العربية الرجعية ، لان بديل التسوية هو الثورة ، والثورة لا تهدد العدو الصهيوني ، والولايات المتحدة الاميركية فحسب ، بل وتهدد القوى والانظمة الرجعية ايضا . ومن هنا تؤيد القوى الرجعية سياسة التسوية . اذ تضمن لها سياسة التسوية أن تقود الحركة السياسية ، وان تؤمن استمرار التفاهم مع الولايات المتحده الاميركية ، والرأسمالية العالمية ، التي تتعامل معها : تبيعها النفط ، وتشتري منها السلع ، أو يودع قسم منها دولاراته في بنوك الولايات المتحدة الاميركية واوروبا ، ويتوسل اخرون قروضا منها .

ان سياسة التسوية هي سياسة هذه الانظمة التي لا تقوى على حرب فعالة ، لهشاشة قياداتها وعدائها للحركة الشعبية والجماهير ، ولعدم استعدادها للدفاع عن مصالح الوطن دفاعا جديا ، وعليه ، فانها تلجأ للحرب اذا اضطرها الخصم ، وفرض الحرب عليها ، ولم يكن لها مناص . ولكنها ما ان تبدأ الحرب حتى تبدأ حديث التسوية لأنها تخاف استمرار الحرب . الحرب بالنسبة لها شر مطلق قد تتحدث عنه ، ولكنها لا تعد له جيدا ، وقد تباشره ، ولكنها لا تسمح له بأن يصبح طريقة حسم الخلافات العدائية .

أما في الداخل ، فلا مجال للمساومة والتسوية . انها تسحق بلا رحمة، وما ذلك الا لانها تخاف من جماهيرها على

سلطتها ، فلا تساومها ، ولكنها تساوم الاعداء ، ما دامت لا ترى فيهم خطرا مباشرا على سلطتها ، وان كانوا خطرا على الوطن كله .

رابعا : وسياسة التسوية هي سياسة فئة من القيادات الفلسطينية ، كما كانت الحال منذ سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٤٧ . ويعود ذلك طبعا الى أن القيادات لا تراهن على استعادة الارض بالحرب الشعبية ، بل بالمساومات الدبلوماسية ، ومن خلال موازين القوى العالمية . وهي لا تعد الجماهير للثورة ، لانها لا ترى الثورة سبيلا ، ولان مواقعها الفلسطينية والعربية مواقع محافظة ، مع الواقع القائم وليست مع التغيير ، مع الانظمة وليست مع الجماهير الشعبية ، ولذلك فانها ترى برنامج التسوية طريقا . ولا ترى برنامج الثورة الشعبية طريقا . برنامج الثورة الشعبية يعرض مواقع الرجعية العربية ، ومنها الفلسطينية للتصفية . أما برنامج التسوية ، فلا يعرض برنامج أحد منها ، ويعطي القيادات العربية القائمة أملا بتحقيق خطوات لمصلحتها .

وهكذا تلتقي برامج التسوية كلها ، وعلى الرغم من التناقضات بينها ضد الثورة ، وضد المقاومة ، وضد فلسطين ، لان مصالح القوى الرجعية تتطلب الثورة ، فاذا كانت طريق فلسطين طريق الثورة ، فلتذهب فلسطين الى الجحيم ، ولتبق صهيونية ، لأن فلسطين لا تساوي (شروى نقير) بالنسبة لمعظم الحاكمين في اقطار الوطن العربي ، الذين يهمهم ان يحكموا سعداء في اقطارهم بعيدا عن الثوره ، وحتى عن الحرب

هل هناك تناقضات ؟

طبعا هناك تناقضات بين العدو الصهيوني والرجعية العربية ، وبين الولايات المتحدة الاميركية والرجعية العربية، وبين الولايات المتحدةالاميركية والعدو الصهيوني، وبين القيادات الفلسطينية والقيادات العربية . ولكن هذه التناقضات كلها قابلة للتسوية بطريقة او اخرى ، حتى اذا قادت الى الحرب ، بسبب طبيعة هذه القوى جميعا .

هناك تناقض واحد لا يسوى ، ولا يقبل التسويات هو التناقض بين الجماهير العربية الشعبية من جهة ، والعدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية من جهة أخرى .

وهذا التناقض هو الذي سيحسم الصراع ، لانه لا يقبل التسويات .

— ١٠ —

ان التسوية تزداد اليوم قوة ، لان الثورة تتراجع مؤقتا ، بينما تزداد قوة الانظمة الرجعية . ولذلك يكثر حديث التسوية في هذه الايام ، ويشتد الى جانبها القمع ، وتتعدد أشكال التصفية .

ان هذا طبيعي ، لان التسوية تضعف بقوة الثورة ، وتقوى بضعفها ، تضمحل أمام زحف الجماهير ، وتشتد بغلبة القوى الرجعية .

ولذلك فان تصاعد المد الثوري هو وسيلة المواجهة الوحيدة ، ولا وسيلة غيرها .

ولكننا ونحن نؤكد هذه الحقيقة ، لا بد لنا من ان

ندرس تكتيكات التسوية الراهنة . لان دراستها تفيدنا في مواجهتها ، وتساعدنا على خوض المعارك المقبلة . واهم هذه التكتيكات :

ـ اقناع بعض قوى الثورة ، بأن طريق السلام هي طريق الدبلوماسية ، وليس طريق الثورة والقتال . وبهذا يصبح مؤتمر جنيف طريق السلام ، والقرار ٢٤٢ الذي ينص على وقف القتال والاعتراف بالعدو قاعدته .

ـ انتزاع العداء للعدو من ذهن قطاعات من « الجماهير » وذلك بادخال قضية التعايش مع العدو ، ضمن الحوادث الواقعية واليومية ، وتحويل القضية الى قضية مقبولة ، ولذلك يكثر الحديث عن التعايش والسلام، وترتيب لقاءات مختلفة مع صهيونيين ، أو حتى مع أحزاب كراكاح .

ـ اجراء تبديل جوهري في برنامج الثورة من خلال استبدال الكلي بالجزئي ، والتركيز على الجزء بدلا من الكل ، وذلك لزعزعة ثقة الجماهير بثورتها ، ولزحزحة الثورة عن موقفها المبدئي ، وجر بعض القيادات الى مساومات جزئية ، وادخالها في لعبة التفاصيل .

ـ اغراق الساحة بالبدائل والخيارات ، عن طريق طرح اكثر من احتمال يتعلق بالجوهر ، واكثر من بديل يتعلق بالاجراءات ، الارض كلها أو جزء منها ، دولة مستقلة أو اتحاد مع الاردن ، قرار ٢٤٢ أو قرار جديد ، المحافظة على القرار ٢٤٢ أو تعديله ، وفد عربي موحد ، أو وفود ، لجان جغرافية أو لجان مواضيع ، وهكذا ...

ـ محاصرة قوى الثورة وعزلها عن الجماهير حولها ، باثارة شكوك بعضها ببعضها الاخر ، وشك الجماهير بها ، وباثارة كل تناقضاتها ، واشعارها بالعجز والفشل واليأس .

ـ دفع قوى الثورة الى اتخاذ مواقف معارضة لمصالحها : طفولية حينا ، بعدم رؤية الفوارق بين الاعداء وتقزيم الحلفاء ، وتضخيم قوة الاعداء ، واستسلامية حينا بتضخيم قوة الاعداء واظهار ضعفنا ، وبتصوير الخضوع للقوى الرجعية تحالفا ، والسكوت عن الامبريالية الاميركية وطنية ، والعداء للاتحاد السوفياتي والشيوعية استقلالية ووطنية .

ان العدو يعرف اهمية الايديولوجية وتاثيرها ، ولذلك يرى ان السلام يكون بوقف الحملات الاعلامية ووقف التعبئة السياسية ، وتغيير الكتب المدرسية وبرامج الاذاعة ، وكل ما يحمل العداء له . وهو لا يريد ان يشطب كل ما يعبر عن العداء للوجود الصهيوني ، بل ان يتحول الكيان الصهيوني في اذهاننا الى وجود « مقبول » وربما « محبوب » ...

ان هذا كله قاد الى بلبلة في صفوف الثورة . فمن جهة تراجعت بعض القوى عن برنامج التحرير الكامل الى برنامج الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة . ومن جهة اخرى تراجعت تعبئتنا النفسية من رفض استخدام كلمة « اسرائيل » ، ورفض اي لقاء مع اي وفد رسمي او غير رسمي يمثل العدو ، الى اعلان الاستعداد للتعايش السلمي والاعتراف وانهاء حالة القتال مقابل دولة فلسطينية .

ثم تراجعت بعض القوى مرة اخرى من اعتبار الولايات المتحدة الاميركية عدوا وخصما الى اعتبارها قوة يمكن ان تكون محايدة ، وان تساهم في صنع السلام . وبدأ بعضنا يطرق ابوابها آملا ان يجد دولة فلسطينية على احد موائدها .

ثم تراجع بعض منا بعد ذلك ، فاذا به يعتبر القوى الرجعية العربية حليفة ، ويعتبر التضامن الرجعي العربي طريق الصراع مع العدو الصهيوني ...

ان هذه هي سياسة التسوية ، وهذه هي تكتيكاتها. وهي ترمي الى تصفية الثورة العربية ، والمحافظة على الكيان الصهيوني وكل مواقع الرجعية في بلادنا ... وهي سياسة الثورة المضادة ... ونقيضها سياسة الثورة العربية الشاملة ، ولا شيء غير ذلك .

عودة الى موضوعات الثورة العربية

(نشـــرت في « الكـاتـب الفلسطينـــي »
عـــدد ١ ــ كانـــون الثانـــي ١٩٧٨)

ــ ١ ــ

الوضع العربي اليوم اكثر وضوحا مـــن ذي قبل . وعلى الرغم من ان احتمالات المستقبل كثيرة ، فان سمات التردي بارزة . وبروزها يساعدنا الان علـــى ان نجلس ، ونصدق مع انفسنـــا ، ونستخلـــص الحقائـــق المفيـــدة والصحيحـــة ...

ولكن لماذا الان ؟ والان فقط ؟ وليس قبـــل سنوات ، سنة ٤٨ ــ ٤٩ مثـــلا ، او سنة ١٩٥٦ او سنة ١٩٦٧ ؟ ونقول الان فقط لاسباب عديدة ، ومن هذه الاسباب :

١ ــ نحن الان ، لسنا كما كنا سنة ٤٩ ، ٥٦ او ٦٧ او حتى ٧٣ . لقد عشنا تجارب مرة ، وتعلمنا . ويفترض ان نكون قد تعلمنا كثيرا . ان التجـــارب التـــي عشناها كبيرة ، وكبيرة جدا . خذلنا مرارا وتكرارا ، فقدنا اجزاء من وطننا ، شردنا ، جعنا ، عذبنا ، علقنا امالنا على رجال واحزاب وقوى ، فلم تتحقق الآمال ... تجارب مـــرة ،

ولكنها غنية ، عشنا فيها اشكالا من الصراع السياسي والمسلح ، الايديولوجي والتنظيمي وصراع التخلف مع الحضارة ، وهذه التجارب يفترض ان تكون قد راكمت خبرات هامة ووعيا جذريا ... وبهذا الوعي وهذه الخبرات يمكننا اليوم ان نواجه الحقيقة شجعان، قادرين، وغير هيابين .

٢ ــ ونحن الان امام حقائق عارية وقاسية. سقطت « الاحلام » التي كنا نسقط عليها امانينا . هذا لا يعني ان ابواب « الاحلام » اغلقت نهائيا ، فهي ما زالت مفتوحة ، ولكننا الان بلا « احلام » . لقد مات الرئيس عبد الناصر ، فطارد السادات اصول الناصرية وفروعها ، واخذ « الحلم الناصري » يتلاشى ، وجاءت الثورة الفلسطينية ، فأسقطت عليها الجماهير العربية امانيها ، واعتبرتها ثورة العصر ، واستعدت ان تحمل السلاح معها ، وتقاتل . وها هي منظمة التحرير الفلسطينية الآن ، مثل اي من الانظمة العربية ، عاجزة كعجزها . لقد كانت الناصرية ثوره كبيرة ، ولكنها لم تستطع تنفيذ برنامجها والاستمرار . وكانت الثورة الفلسطينية حركة كبيرة ، وها هي اليوم محاصرة ، وعاجزة ... فلسطين لم تحرر ، وكذلك الجولان وسيناء ، وعزبستان والاسكندرون مغتصبتان ، وفوق ذلك هناك اراض اخرى مهددة . ومع ذلك فهناك مشكلة التخلف والتجزئة ، ومشكلة التبعية للامبريالية . كل المشاكل التي حلها ، او حل بعضا منها القرنان التاسع عشر والعشرون لم تحل في بلادنا ... وكل الثورات التي انجزها القرنان الاخيران لم تنجز عندنا . وما زلنا لم نحدد طريق ثورتنا بعد ...!

هل نحلم من جديد ؟ سيبقى الحلم طريق الهروب لمن لا يريدون مواجهة الحقيقة ، ولمن يعجزون عن مواجهتها . ستبقى قطاعات من الناس مستعدة لان تسقط احلامها على رجال حقيقيين او على دمى ، على ثورات وطنية عفوية او على فقاعات ... ولكن على الذين عانوا وذاقوا العلقم ، وتعلموا ان يجهروا بالحقيقة ، ان يغلقوا ابواب الهروب ، ليتم السير على الطريق القويم ، طريق الخلاص ، طريق الحقيقة . وهي ليست الا طريق الثورة .

كيف ؟ ولماذا ؟...

لان الوطن العربي يعاني اشكالا من التخلف متداخلة وان كانت مختلفة. ولان هناك الان ايضا، نمطين من التخلف يلتقيان فيه : اولهما : بقايا التراث السياسي والاجتماعي، ومن ثم الاقتصادي ، المنحدر من عصور الانحطاط عامة والعصر العثماني خاصة . وهو تراث مؤثر وفعال وموجود سياسيا واجتماعيا واقتصاديا على نطاق واسع ، انه ، ولنقل ، جزء اساسي من النظام السائد ، ومن التركيبة القائمة . وثانيهما : تراث عهد الاستعمار الذي ادخل تعديلات على البنى السياسية والاجتماعية والتقليدية ، سمحت لها ان تبقى ، ولكن متلائمة الى حد كبير مع عهد الامبريالية ، وهكذا تتزاوج العلاقات العشائرية بالعلاقات الرأسمالية ، والغيبية الاسيوية بالميتافيزياء البرجوازية ، ويولد مجتمع متخلف هجين ، متخلف وتابع ، متخلف ولكنه يملك بعض وسائل العصر المتقدمة . وتنشأ عن ذلك انماط من السلطة متخلفة جدا ، ولكن قوية ، تملك ادوات الرأسمالية المتقدمة في القمع ، وخبرات الدول الامبريالية في سحق ارادة الشعوب ، كما تملك الى جانب ذلك كل رصيد العلاقات العشائرية ، وكل عوامل التخلف ...

ان هذا يجعلنا نعيش التخلف مركبا . فنحن لسنا اليمن في القرن الثامن عشر او التاسع عشر . ولو كان الامر كذلك لكنا امام نمط بسيط من التخلف ، ونمط معاد للسيطرة الخارجية ، ونتيجة كون اقتصاده اقتصاد كفاف ، وبسبب وجود مجتمع بدائي منغلق على الخارج ، لا يرضى بالتبعية الخارجية . اننا اليوم امام نمط ، او انماط اخرى، متخلفة الى ابعد الحدود ، ولكنها تحاول ان تحل اشكال تخلفها بالالتحاق بالسوق الامبريالية العالمية . وهي لذلك ، وبالاتفاق مع الدوائر الامبريالية عينها ، تنسف عوامل ترابط المجتمع التقليدي الاساسية ، ولكنها لا تنسف قيمه ومثله وكل علاقاته . وتدخل هذا المجتمع المنحل ضمن شبكة العلاقات الامبريالية العالمية ، فيصبح متخلفا وتابعا، ويزيد من تخلفه انه مرتبط بالامبريالية ، في حالة تدهورها وانحلالها ...

ان هذا الوضع يجعل امر التغيير معقدا . ذلك ان هناك خيارين : المجتمع التقليدي او المجتمع الاوروبي ، وهما في الجوهر متناقضان تناقضا عدائيا . فلقد اسقطت البرجوازية الاوروبية انماطا كالتي عندنا خلال الثلاثماية سنة الماضية ، ولم تبق منها شيئا . ولكن البرجوازية الاوروبية في حالة انحلالها تتزاوج مع انماطنا التقليدية ، وتعمل كل ما تستطيع لابقائها ، ولتكييفها مع السوق الامبريالية العالمية ، لماذا ؟ لان البرجوازية الاوروبية لا تسمح باحداث ثورة برجوازية في بلادنا ، لان قيام مثل هذه الثورة يزيد التناقض مع برجوازية الغرب ، ويفتح الطريق امام تطور حقيقي واستقلال حقيقي ، لو تم . وبالطبع لن يتم الان لان زمنه انقضى . ثم لان الانماط

التقليدية في مجتمعنا معادية لاي تحول حقيقي، وهي ضمانة بقاء التخلف . ولذلك يجب ان تبقى جوهريا ، الشارع يصبح عصريا ، والسيارة ، واللباس الخ ولكن الافكار والتقاليد والعلاقات يجب ان تبقى كما هي . وحيث تأخذ بالضعف والانحلال ، لسبب او لاخر ، تهب الدوائر الامبريالية المعنية باعطائها شحنات قوه وانتعاش . وترى الامبريالية في هذه الانماط السياسية والاجتماعية اقوى عوائق امام التحول والتغيير .

الا ان الامبريالية لا تترك هذه الانماط وحدها . انها تزودها بكل مقومات القوة : فهي من جهة تعطيها العلم البرجوازي الضروري لها... تسندها في غيبيتها وشرقيتها، وتعلم البرجوازي ، الا انها تحجب عنها الوجه الاخر اشراقا للبرجوازية ، وهو الثورة الديمقراطية، حرية الامم والافراد ، كما جسدتها الفلسفات البرجوازية في اوروبة واميركا منذ القرن السابع عشر .

وهي تعطيها التكنلوجيا مصنعة ، ولا تعطيها علم التكنولوجيا والقدرة على الانتاج . وهي بالمقابل تخضع السوق المحلية كلها للسوق الامبريالية ، وتنهب ثروات الشعب كلها ، وتلحق اقطارنا بها ، الحاقا مباشرا ، كما كانت الحال منذ اواخر القرن الماضي ، او الحاقا مباشرا وغير مباشر ، كما هي الحال الان ... وتقوم الامبريالية، وهذا هام جدا، بضرب اي إتجاه حقيقي للتحولات السياسية والاجتماعية. وهي لذلك تستثير كل عوامل التخلف ضد عوامل التقدم ، وتدعم البنى السياسية والاجتماعية المتخلفة السائدة بكل عوامل البقاء ، بما فيها التدخل العسكري المباشر . وهنا تلعب الايديولوجيا الرجعية دورها ، وتلعب

وسائل الاعلام المختلفة ، كما يلعب الفكر والادب والفن ادوارا هامة جدا ، ومؤثرة الى ابعد الحدود .

ولقد سعت القوى الامبريالية ، منذ اوائل القرن الماضي لاعادة رسم الخريطة الجغرافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للوطن العربي . فتصارعت على اقتسامه واحتلال أرضه . وهكذا كان فبدأت فرنسا بمصر ١٧٩٨ ، ثم خرجت مهزومة ، واحتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ وبريطانيا عدن ١٨٣٩ ، ثم عادت بريطانيا فأحتلت مصر سنة ١٨٨٢ . وكانت القوى الامبريالية قد اتفقت على محاصرة مساعي محمد علي باشا ، ومنعه من اقامة امبراطورية عربية سنة ١٨٣٨ . وتبلورت لدى البريطانيين في هذا الوقت فكرة اقامة دولة صهيونية في فلسطين . واشتدت مطامع القوى الامبريالية ، مع اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، فبدأت الدول الامبريالية تسعى لانتزاع اجزاء جديدة . وهكذا فرضت فرنسا معاهدة على المغرب سنة ١٩١٢ ، واحتلت ايطاليا ليبيا سنة ١٩١٢ ، وجاء اتفاق سايكس ـ بيكو سنة ١٩١٦ لاقتسام المشرق العربي ، ليمثل مرحلة جديدة من مراحل السيطرة الامبريالية. وقد تلا ذلك اعلان وعد بلفور سنة ١٩١٧ ، ثم اقامة الكيانات المعروفة حاليا باسماء فلسطين ولبنان وسورية والعراق (١) .

ولم يكن هذا الاحتلال مجرد احتلال ، فلقد اعاد رسم خريطة المنطقة سياسيا وجغرافيا ، فوضع حدود كيانات ، وبالتالي حدود دول. وهكذا نشأت مع السيطرة الامبريالية

(١) د. زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، الصفحات : ٥٤ حول عدن ، ٣٢٩ و ٣٦٣ حول مصر و ٥٤٥ حول المغرب .

الكاملة « كيانات » جديدة انبثقت عنها دول . ان التجزئة السياسية ولدت مع الاحتلال ، وكانت من صنعه ، وظلت بحمايته حتى الآن ...

وهكذا التقت اقانيم اربعة : ١ ــ الاحتلال والسيطرة المباشرة وغير المباشرة . ٢ ــ التبعية . ٣ ــ التجــزئة . ٤ ــ التخلــف ...

انها اقانيم اربعة ، ولكنها تكون شيئا واحدا ، حالة واحدة ، تعبر عن نفسها بالخضــوع السياســي للقوى المعادية . ويسند كل اقنوم من هذه الاقانيم الاربعة الاقنوم الاخر ويعززه . فالاحتلال يسند التخلف ، والتخلــف يعزز التبعية ، والتبعية تدعم التجزئة ، والتجزئة توفر اسباب التبعية وهكذا ... ان اسباب الخضوع تتكامل وتتداخل.

ولقد استمر تنفيذ المخطط الامبريالي بعــد الحــرب العالمية الاولى ، واقرار برنامج الانتدابات والمستعمرات . بدأت الهجرة الصهيونية تتدفق الــى فلسطين ، وقسمت سورية الى سورية ولبنان ، وقسمت سورية الى دول ، وكذلــك شرق الاردن (١) . وبيــنما احتفــظ الاستعمار الفرنسي بالعائلة الحاكمة في مراكش ، احتفظ البريطانيون بأسرة محمد علي في مصر ، وزرعــوا احــد ابناء الشريف حسين في العراق والثاني في شرق الاردن . وعمل الخبراء والمختصون من اجل تثبيت الكيانات الجغرافيــة الجديدة . فثبتوا فيها عائلات حاكمة ، وخلقوا حولها فئات مستفيدة . ثم انهم أرادوا ان يمعنوا في التقسيم ، فشجعوا الطائفية

.....

(١) ــ أمين سعيد الثورة العربية الكبرى ، المجلد الثالــث ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

دعموا مبررات بقائها . ثم لم يكتفوا بذلك ، فأثاروا قضية فرعونية والفينيقية . وزادوا على ذلك بأن شجعوا "قليات القومية . كان هدف هذا كله الغاء ارادة الوحدة، جزئة الامة الواحدة ، وخلق هويات متصارعة ضائعة ر قادرة على الفعل السياسي .

وعندما بدأت القيادات من ممثلي الاقطاع البرجوازية (٢) مواجهتها دعت الى الاصلاح . كان هدفها ثلثا :

١) انهاء الاحتلال العثماني وتحويل العلاقة الى اتحاد تفق عليه .

٢) انجاز شكل من الوحدة العربية وتحقيق الهوية القومية .

٣) اقتفاء اثار اوروبة في الثقافة والزراعة والصناعة.

واقتضى هذا الاعتماد على التيار الاصلاحي في السلطنة ، والاتصال بالغرب ، وعقد تحالفات محلية . كان التيار الاصلاحي العثماني يصارع ، وكان يعمل على ث افكار الاصلاح في كل ارجاء السلطنة . أما الغرب ، اوروبة ، فلم يكن مع بقاء وحدة السلطنة ، وكان مع انفصال الشعوب المرتبطة بها . كما ان وضع السلطنة ،

.....

٢) عندما نشير هنا الى الاقطاع والبرجوازية ، فاننا نعلم انه اقطاع من نوع خاص ، وانها برجوازية من نوع محدد . ولا نرى داعيا لاختلاق اسماء . ومن واجب اية دراسة خاصة بنمط الانتاج عندنا ان تحدد هذه الفروق والخصوصيات .

وعدم قدرتها على التحول ، ونظرتها الى البلدان الخاضعة لها على انها مستعمرات ، قاد الى مزيد من الشقاق تكرس بعد استيلاء حزب الاتحاد والترقي على السلطة لقد انهى حزب الاتحاد والترقي امكانيات الائتلاف والاتحاد وبذلك زادت قوه التوجه نحو اوروبة . وهكذا بدات هذ العناصر الاقطاعية البرجوازية اول تجربة لها في التحالف مع اوروبة . وكانت تجربة حركة الشريف حسين سنة ١٩١٦ ، المعتمدة على مساندة بريطانيا ، والتي رافقتها سرا اتفاقية سايكس ــ بيكو . وفي الداخل اتجهت العناصر الوطنية من ممثلي الاقطاع والبرجوازية المشا اليها الى التحالف مع الشريف حسين وابنائه : ممثلي اكثر انماط الانتاج تخلفا في الجزيرة العربية .

وهكذا كانت بداية الحركة الوطنية تحالفا مع اوروبة الاستعمارية من جهة ، وتحالفا مع ممثلي بعض العشائر العربية من جهة اخرى . وكانت النتيجة ما حدث : احتلا اوروبيا وتجزئة وتبعية .

ان هذه المرحلة من التاريخ العربي هامة ، وهي تمتد منذ ١٨٧٥ الى ١٩٢٠ . لقد رسمت فيها اوروبة معالم الحياة العربية الحديثة ، حدود الكيانات ، الطبقات الحاكمة ، منحى التطور ، العلاقة مع السوق الامبريالية ومنذ ذلك الحين ، ونحن ندور ضمن هذه الحلقات او حولها ، ونادرا ما عرفنا كيف نخرج من دوائرها . وهنا جوهر المشكلة .

ثم جاءت المرحلة التالية (١٩٢٠ ــ ١٩٥٢) ..وفي هذه المرحلة حاولت القوى الامبريالية الحاكمة الاساسية

والثانوية (بريطانيا ، فرنسا ، اسبانيا ، تركيا ، ايران) أن تحدد ملامح ومعالم الواقع الجديد من خلال الامور التالية :

(١) اكدت واقع التقسيم الجغرافي الذي تم الاتفاق عليه في اتفاقية سايكس ــ بيكو ، والذي اعطي شرعية دولية باتفاقية سان ريمو . وباتت هنالك حدود دول بين الاقطار العربية المختلفة ، وجوازات وجمارك الخ ..

(٢) عملت على تغيير الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، بما يضمن السيطرة الامبريالية . ولذلك تم العمل باتجاهات مختلفة :

أ ــ تشجيع الاستيطان ، وتركز ذلك في تونس والجزائر ومراكش وليبيا وفلسطين . وكان قد بدأ في الجزائر من القرن الماضي (١٨٣٠) . وكانت ظاهرة الاستيطان هذه، جزء من ظاهرة الاستعمار، واحدىوسائله لتغيير التركيبة الاجتماعية ــ الاقتصادية ــ السكانية المحلية . اذ ان وجود المستوطنين والمستوطنات يعزز السيطرة الامبريالية بقواعد في البلدان المستعمرة . وينحصر دور هؤلاء المستوطنين بتكوين امتداد للقوة الامبريالية الخارجية ، واداة تفتيت وقمع للقوى الداخلية .

ولقد استحوذ المستوطنون على افضل الاراضي ، وكونوا القطاع الاقتصادي الاكثر تقدما ، كما كانوا العين الساهرة للقوة الامبريالية واليد الضاربة ...

ولن نبحث هنا بالطبع الخلافات والفروق بين بلد واخر ، وقوة واخرى ، لانه ليس هنا مجال بحثها .

ب ــ تعهد قوى محليــة ، لتكــون دلــيفا مضمونا وقادرا ، ولذلك تم اختيار بعض العائلات الحاكمة ، التي اعطيت اسباب السلطان لتكون قوة قمع داخلــية ، اسرة محمد علي في مصر ، الامير فيصــل في بغــداد ، والامير عبدالله في شرق الاردن ، عبد العزيز آل سعود في الجزيرة العربية، عائلة البايات في ليبيا والدايات في تونس وسلاطين مراكش . هذا بالاضافة الى بعض امراء الخليج العربي . ان اختيار هذه العائلات جاء ضمن خطة مدروســة هدفها ايجاد سلطة رجعيــة معاديــة للشعب ، مرتبطــة بالقوة الامبرياليــة .

ولقد اسندت هذه « الاسر الحاكمــة » بطبقــة من الاقطاعيين ، واخرى من البرجوازية الوسيطة . وكــان تحالف هذه القوى الاساس الذي تستند اليه السيطــرة الامبرياليــة ...

ج ــ ضرب الحياة الوطنية بتكريس التبعية السياسية والاقتصادية ، وبتشويه الثقافــة . ولذلــك جــرت تنمية قطاعات سياسية واقتصادية وثقافية على هامش الوجود الاستعماري . السلطة مربوطــة بالقــوة الاستعماريــة وبالسلطة المحلية الحاكمة المحكومة ، والاقتصاد مرهــون بالسوق الامبريالية والثقافه مرتبطه ، اما بالعاملين فــي اجهزة القوة الغازية ، او بالاجهزة الرجعيــة التقليدية . وهكذا... كانت القطاعات المرتبطة بالسيطرة الاستعمارية تنمو ، بينما كانت كل مقومات الحياة الوطنية تضرب .

(٣) اقامت حكما عسكريا او قواعد عسكرية حيث رات ذلك مناسبا . فهي قوة احتلال اولا ، ولكنــها على استعداد لتقليص حجم الاحتلال، اذا كانت هناك قوة محلية

قادرة على تنفيذ سياسة مضمونة في الداخل . ولكنها مع ذلك تحتفظ بقواعد عسكرية ، كما جرى في مصر حتى سنة ١٩٥٦ .

(٤) سلخت بعض المناطق الهامة من أرض الوطن : عربستان سنة ١٩٢٥ ، واسكندرون سنة ١٩٣٧، والاجزاء الاساسية من فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وبقية فلسطين وسيناء والجولان سنة ١٩٦٧ . وهدف هذا كله احتلال مواقع استراتيجية ، ونهب ثروات ، وخلق ظروف تعقد نمو الثورة وعملية التطور .

ان احتلال ايران عربستان سلخ جزء من ارض الوطن ، واخضع المواطنين العرب هناك لسلطة اجنبية غاشمة ، ولكنه سلخ ثروات اقتصادية هامة ، منها النفط، واعطى ايران مداخل الخليج وشط العرب .

اما احتلال فلسطين ، فقد كانت له اثار هامة على الوضع العربي كله ، اذ ان هذا الاحتلال لم يفصل مشرق الوطن عن مغربه فحسب ، بل اوجد قوة معادية قادرة وسط الوطن ، هدفها منع وحدته ، وضرب قواه الثورية ، والمحافظة على عوامل تخلفه .

ان عمليات السلخ هذه مترابطة مع عمليات السيطرة والاستيطان والنهب الاقتصادي ، واهدافها جزء من اهدافها .

(٥) ركزت على تنمية التناقضات الطائفية والاثنية واستغلالها . ففي سورية انشئت دول ، وعلى اساس طائفي . وفي لبنان جرى خلق دولة واحدة ، ولكن مع استثارة عوامل الصراع الطائفي . وكان الهدف دائما اثارة

التناقضات لتفتيت ارادة الوحدة ، ولمواجهة خط التقدم التاريخي .

وكان الهدف من هذا كله تقسيم الوطن العربي جغرافيا ، وخلق ركائز سياسية واقتصادية واجتماعية لهذا التقسيم ... وتقسيم الوطن العربي سكانيا ، وبلورة عصبيات « قومية » وطائفية . كما كان الهدف ضرب عوامل التقدم ، وتكريس عوامل التخلف .

وكانت الحركة الوطنية تقف عاجزة امام هذا كله . ويعود عجزها الى ما يلي :

اولا : كانت القيادات الاقطاعية ـ البرجوازية تطرح موضوع الاستقلال ، وتطالب به . وكانت شرائح من ممثلي الاقطاع والبرجوازية تعمل من اجل استقلال يتم بالاتفاق مع السلطة المنتدبة او المحتلة ، ويكون من نتيجته عقد معاهدة مع القوى الاستعمارية . ولهذا كان طريق الاستقلال طريق المعارضة السياسية : احتجاجات ، عرائض ، وفود ، وحين تقوم المظاهرات فلاسماع الرأي فقط ولم يكن هذا الاستقلال يعني بالنسبة للمطالبين به اكثر من تعديل في الوضع الداخلي ، وضمن اطار قطري ، يسمح لفئات من ممثلي الاقطاع والبرجوازية ان يحكموا الشعب بالتحالف مع القوة الاستعمارية .

وكان ذلك يعود الى أن مصالح هذه القوى المحلية ، لم تكن متناقضة كليا مع مصالح القوة الاستعمارية . ذلك ان الاقطاع لم يكن يطمح بغير سلطته على ارضه ، وكانت هذه متاحة له . وكان يريد مشاركة في السلطة تعزز مواقعه الداخلية ، ولم يكن يرى هذا متناقضا تناقضا

تاما مع وجود قوة استعمارية على أرض الوطن ، وكانت مصالحه تتعزز بزيادة فعله في السياسة الداخلية ، وبدخول السوق العالمية عن طريق القوة الاستعمارية .

اما البرجوازية فقد كان حلمها أن تكون ممثلة المصالح الامبريالية ، وأن تخلق واقعا محليا مرتبطا بالوجود الامبريالي . كانت تريد أن تكون الوسيطة بين السوق الامبريالية والسوق المحلية ، وأن تنمي «صناعات» على هامش السوق الامبريالية . ولم تكن لديها المطامح ولا القدرات لان تفعل المزيد ، لانها كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تدخل سوق المنافسة . ولكنها كانت تريد أن تحسن شروط تعاملها مع القوة الاستعمارية . ولذلك كان التعارض جزئيا .

ولهذا لم تطرح هذه القيادات موضوع الصدام مع القوى الاستعمارية ، ولا خاضت معارك طاحنة معه ، كانت تعارض ، تطالب ، تفاوض ، تساوم على الحركات الجماهيرية ، ولكنها لم تكن تقاتل ، حتى في فلسطين ، مثلا ، عندما كانت بيوتها معرضة للاحتلال .

كما أن هذه القوى لم تطرح قضية الوحدة العربية طرحا جديا بعد سنة ١٩١٦ لان مصالحها كانت محلية ، ولان قضية الوحدة كانت قضية الجماهير الكادحة وقواها الوطنية والديمقراطية ولم تكن قضية الاقطاع والبرجوازية .

ومن هنا اتخذ النضال من أجل الاستقلال على يد هذه القيادات طريقا « قطريا » ، من جهة ، وطريقا مساوما تفاوضيا من جهة أخرى .

ثانيا : وكانت الحركة الشعبية ضعيفة ومفككة . ذلك أن الوعي الثوري كان محدود الانتشار ، والاحزاب الثورية كانت « جنينية » ، ولم تكن قادرة على قيادة الجماهير الشعبية الناقمة .

ونستطيع أن نقول أن البرجوازية الصغيرة المدينية بشكل عام كانت تتبع البرجوازية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . وانها كانت تنمو على هامش الوجود الاستعماري وعلاقاته المحلية ، ولكن معارضتها بعد الحرب أخذت تشتد .

قاد ذلك كله الى التالي :

ا ـ أن تبقى حركة الفلاحين عفوية ، وبلا ترابط فعلي مع الحركة الثورية في المدن ، لان القاعدة المكونة من العمال والبرجوازية الصغيرة كانت ضعيفة وعيا وتنظيما ، وغير قادرة على قيادة الجماهير الفلاحية من جهة أخرى .

ولهذا قامت ثورات فلاحية هامة : في سورية ١٩١٩ الشيخ صالح العلي ، ١٩٢٥ جبل العرب ، ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ العراق ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ فلسطين ، ١٩٢٥ مراكش . ولكن هذه الثورات الهامة الواسعة كانت تتبدد أمام قوة القوى الاستعمارية ، ونتيجة ضعف دور المدن الثوري ، ولان ممثلي الاقطاع والبرجوازية الوطنيين كانوا يساومون عليها ، أما غير الوطنيين فكانوا يقفون ضدها ، ومع القوة الاستعمارية .

هذا بالاضافة الى أن قيادة هذه الثورات الفلاحية كانت بيد « وجاهاتها » و « شيوخها » ، ولم تكن بيد جماهيرها وطلائعها .

ب — أن يبقى دور العناصر الديمقراطية والديمقراطية الثورية محدودا ، لان القوى المحافظة هي المسيطرة ولان هذه القوى لم تكن لها قاعدة طبقية واسعة وواعية ، ولا تنظيمات ثورية تمثلها . ولذلك لم تطرح قضايا الثورة الديمقراطية ولم تصبح مطالب نضالية الا في أواخر هذه المرحلة . ومن هنا بقيت قضية الاصلاح الزراعي والحريات الديمقراطية قضية ثانوية كل هذه الفترة ، لان ممثلي الاقطاع والبرجوازية الوسيطة ، لم يكونوا معنيين بهذه القضايا ، بل كانوا ضدها ، ولان حركة الجماهير الديمقراطية كانت تتبع قياداتها الاقطاعية والبرجوازية التي تطالب بالاستقلال ، ولو مع البؤس والفقر (٣) . وكانت بالطبع تعمل لصرف الجماهير عن كل شيء ، ما عدا « الاستقلال المنشود » .

ج — أن يبقى دور الطبقة العاملة ايضا هامشيا ، لان وجودها المادي والسياسي كان ضعيفا ، ولان « احزابها » لم تستطع ان تفهم طبيعة الثورة ، وخاصة أهمية « قوميتها » ... ولم تستطع ان تندمج بالحركة الشعبية ، وان تساهم في توحيدها وتوعيتها .

ولقد سيطرت على هذه الحركة افكار طفولية أحيانا، أصلاحية في احيان اخرى ، وكانت كلها تؤدي الى ضعف دورها في تأجيج النضال القومي الديمقراطي الشعبي ، وان كانت تشارك في النضالات القطرية بشكل او بآخر .

.....

(٣) — مالك بن نبي : شروط النهضة ومشكلات الحضارة ..

ولقد قاد هذا كله الى بقاء حركة الطبقة العاملة العربية « قطرية » ، وضمن اطار النضال البرجوازي بشكل عام : استقلال ، انتخابات برلمانية ، ولم تتعد برامجها ذلك الا في فترات عابرة ، وغير ذات تأثير .

كما قاد الى بقاء حركات الفلاحين في هذه المرحلة استقلالية ، ولكن دون مضمون ديمقراطي ثوري ، وبالتالي عاجزة عن تحقيق أهدافها .

وقاد أيضا الى بقاء البرجوازية الصغيرة ضعيفة التأثير في الحركة الشعبية عامة .

ولهذا تحقق الاستقلال في بعض الاقطار : مصر ، العراق ، شرق الاردن ، سورية ، لبنان ، ولكنه لم يكن استقلالا حقيقيا ، وقد ظلت مصر مرتبطة بالاستعمار البريطاني ، وظلت فيها قواعد عسكرية الى سنة ١٩٥٦ ، وظلت الاردن خاضعة للسيطرة البريطانية حتى سنة ١٩٥٦ أيضا ، من خلال قيادة الانكليز الجيش ، واستيلائهم على مقاليد السياسة . أما في العراق فقد كان هناك معاهدة وقاعدتان عسكريتان منذ سنة ١٩٣٢ ، ثم احتلت القوات البريطانية العراق مرة أخرى سنة ١٩٤١ . وعلى الرغم من خروج القوات البريطانية فيما بعد الا أن النظام ظل تابعا .

وقام الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨ ، على الرغم من التدخل الرسمي لمصر والعراق والاردن وسورية ولبنان .

وظل الاستقلال شكليا والوطن مجزأ تابعا خاضعا ،

ولم تتحقق الثورة القومية الديمقراطية على اي جـــزء من أرض الوطـــن ...

وتبلورت خلال هذه المرحلة المشاكل التالية :

ا ـــ الاحتـــلال والسيطـــرة الاجنبيـــة مباشرة وغير مباشرة ، وقد تحول احتلال فلسطين من احتلال عسكري بريطاني الى احتلال صهيوني استيطاني .

ب ـــ التبعية اذ ظلت البلدان العربية تابعة ، على الرغم من الاستقلال الشكلي ، وكانت تزداد تبعية بازدياد ارتباطها بالسوق الامبريالية .

ج ـــ التجزئة اذ كان ظهور دول لها عـــلم ودستور ومجلس امة ورئيس ، وقيام الحدود والجمارك والجوازات يجعل التجزئة مؤسسة قانونية .

د ـــ التخلف وكان التخلف في البدء ناتجا عن وجود علاقات انتاج بدائية ، فأصبح ناتجا عن وجود علاقات انتاج بدائية تابعة للسوق الامبريالية العالمية .

وظلت الحركة الشعبية عاجزة عن مواجهة هذا كله، لانها ظلت في معظمها تدور ضمن اطـــار الحـــدود التـــي رسمتها الامبريالية ، والقوى الرجعية المرتبطة بها . ولانها لم تستطع ان تكون حركة شعبية ثورية قادرة على احداث التغيرات الشاملـــة .

الا ان التحولات التي حدثت في البنـــية الاقتصادية ، واهمها اتساع نطاق العلاقة مع السوق الامبريالية وانتشار السلع المستوردة على نطاق دائـــم الاتســـاع ، وتحـــول

الاقتصاد المحلي الى جزء من الاقتصاد الامبريالي ، وقيام الدول والعواصم وما اقتضاه من انتشار التعليم نسبيا ، زاد من نمو الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة وبالتالي من انتشار الوعي القومي والثوري ، وقاد الى تحولات نوعية في بنية الحركة الشعبية ووعيها .

وكان ممثلو الاقطاع والبرجوازية يوجهون الحركة الشعبية باتجاه الاستقلال الوطني ، وكانوا في الوقت عينه يزيدون من اضطهادهم الجماهير واستغلالهم اياها ... ومن ارتباطهم بالسيطرة الامبريالية والاستغلال الامبريالي، وكانوا يريدون أن تظل الجماهير الشعبية وراءهم وأن تكتفي بمطلب الاستقلال مع البؤس والفقر .. الا ان الجماهير الشعبية أخذت تكتشف يوما بعد يوم أن الاستقلال الذي تدعو اليه قيادتها ليس استقلالا حقيقيا، وان هذه القيادات حريصة على دوام العبودية والاستغلال. وكذلك بدأت الحركة الشعبية صراعاتها مع هذه القيادات. ومن هنا بدأت الحركة الشعبية تنحو منحى جديدا . واخذ الصراع مع الاستعمار يرتبط بالصراع مع القوى الرجعية المحلية المتعاونة معه ، أو القائمة على هامشه .

وجاءت هزيمة فلسطين لتؤكد للجماهير العربية ان الصراع مع الاستعمار الصهيوني ، ومع القوى الامبريالية، لا يمكن أن يقود الى الانتصار في ظل القيادات الرجعية ... مرحلة جديدة تبدأ ...

المرحلة الجديدة ١٩٥٢ ــ ١٩٧٧ :

كان وضع الاستعمار القديم يتدهور مع نهاية الحرب العالمية الثانية . وكانت القوى المرتبطة به تتداعى بتدهوره.

ولذلك فقد تصاعد النضال العارم منذ نهاية الحرب الثانية في كل العالم الثالث ، ومنه الوطن العربي .

اتخذ هذا النضال خطين :

الاول : الكفاح المسلح ضد الاحتلال الاجنبي، الفرنسي البريطاني خاصة . ومن ذلك ثورات المغرب الثلاث مراكش ، الجزائر ، تونس ، وثورة اليمن الجنوبية .

وكانت ثورات المغرب قد تأخرت عن ثورات المشرق التي حدثت في العشرينات والثلاثينات . وكان تدهور وضع الاستعمار القديم يغري بخوض المعارك ضده . كما كان وضع البلدان المعنية قد وصل حدا من الاذلال والافقار لا يمكن الصبر عليه .

الثاني : النضال ضد القوى الرجعية ، في البلدان التي حصلت على استقلال ولكنها ظلت مرتبطة بالقوى الاستعمارية . وقد اتخذ هذا النضال اشكالا مختلفة ، منها المظاهرات والاضرابات والانتفاضات ، ومنها الانقلابات والتحركات العسكرية التي قامت بها عناصر وطنية في الجيوش .

ولذلك شهدت سورية ما بين ١٩٥٠ و ١٩٥٨ عددا من التحركات والانتفاضات والانقلابات كما شهدت مصر نضالات ١٩٤٧ ــ ١٩٥٠ ، ثم ثورة ٢٣ يوليو . والاردن التحركات الشعبية من ١٩٥٢ الى ١٩٥٧ ، والعراق كذلك .

وكان من نتيجة ذلك ان سقطت الانظمة الرجعية شبه الاقطاعية ــ شبه البرجوازية في سورية والعراق ومصر ،

واستقلت الجزائر واليمن الديمقراطية ، واسقط النظـ الملكي في ليبيـا .

ولقد رحـل الاستعمار البريطـاني عن محمياته في الخليج العربي ، وان ظل الشيوخ والامراء حاكمين . واخ الصراع يتفاقم بين القوى القومية والثورية والديمقراطي من جهة ، والقوى الرجعية من جهة اخرى . واتخذ هـ الصراع ايضا اشكالا مختلفة . وكانت القوى الوطنيـ تشدد فيه على ما يلي : ا ـ الصراع ضد الاحتـلا والسيطرة الاجنبية . ب ـ الصراع ضد القوى الرجعيـ المحلية . وكانت قضية الوحدة العربية تطرح في هـ الصراع ، وان لم تكن محرك كل القوى فيه .

ولكن هذا الصراع كان يتصاعد ثم يتراجع ، وينم ثم يتفتت وكان دور القوى الجماهيرية فيه يتزايد حينا ويخفت احيانا ..

الا ان هذا النضال قاد الى ما يلي :

١ ـ استقلال معظم اجزاء الوطن العربي ، مـا عد الاراضي المحتلة (فلسطـين ، اسكندرون ، الجـولان سيناء ، عربستان ، عمان ، سبتة ومليلـة ـ جزر الخلي العربي) . وان كان هذا الاستقلال يختلف قوة وضعفا م بلد الى اخر ، وكانت جذور التبعية ما زالت قائمة ، بسبـ اشكال الارتباط المختلفة بالسوق الامبريالية .

٢ ـ ضرب الاقطاع والكمبرادور في مصر وسوري والعراق واليمن الديمقراطية والجماهيريـة والجزائـر واقامة انظمة القطـاع العـام . وان كانت التطورا السياسية اللاحقة قد اعادت الحياة الى بقايا الاقطـ

الكمبرادور ، ونمت مظاهر طفيلية جديدة في بعض هـذه لبـلدان .

وعلى الرغم من ذلك ، فان الاشكالات الاساسيـة تحل . لقد بقيت أجزاء محتلة من أرض الوطن ، وبقي سائره تابعا بشكل أو بآخر ، بدرجـة او اخرى . ثم لـم حقق الوحدة العربية ، ووحدة مصر وسورية التي انجزت نة ١٩٥٨ ما لبثت أن انهارت ، والاشكال الاخرى التي امت مثل الاتحاد الثلاثي بين مصر وسورية وليبيا لم تكن شكالا حقيقية . أما التخلف فمـا زال قائما ، ومـا زالت شكالاته تتعقد .

لماذا هذا كله ؟

انه نتيجة ما يلي :

اولا : عدم وجود الحركة العربية الشعبية الواحدة ، الممتدة في كل أرجاء الوطن العربي . انها لم تقم حتى الان . وعندما استطاع عبد الناصر أن يستقطب قطاعات واسعة من حركة الجماهير العربية، ظلت هذه القطاعات بلا تنظيم.

ثانيا : غياب الجبهة القومية المتحدة التي تضـم كل القوى القومية والثورية والديمقراطية ، والتي تحشـد اوسع قوى الجماهير حول برنامجها القومـي الديمقراطي الشعبـي .

ثالثا : غياب البرنامـج الذي يطـرح قضايا الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ، المتجهة نحو الاشتراكية .

ولهذا كله ، لم تتحقق الاهداف الاساسيـة للثـورة لعربية . ولهـذا كلـه تتراجع قوانـا اليوم أمام الهجوم لامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي المضاد ...

— ٢ —

ان احاطتنا بهذا كله يقودنا الى معرفة ترابط الظواهر ومعرفة كيفية مواجهتها . انه يساعدنا على الخروج من دوائر الحلول الوهمية ، او الحلول التي تخدم مصالح طبقات وفئات معادية ، او مصالح فئات هامشية ووسطية في مجتمعنا لا تخرج مصالحها، وبالتالي مطامحها ، عن اطار الواقع الراهن .

واحاطتنا هذه بالوضع تجعلنا نرى التركيبة المعادية واضحة جلية . وهي تتكون من التالي : التبعية للامبريالية عامة ، والامبريالية الاميركية خاصة ، الكيان الصهيوني بما هو قوة احتلال واستيطان وعدوان ارتبط وجوده بخصر المنطقة للامبريالية ، ويرتبط بقاؤه ببقاء الامبريالية وبقاء مصالحها .. التخلف والتجزئة المرتبطين بالتبعية للامبريالية ، وبوجود الكيان الصهيوني والقوى الرجعية العربية .

ان هذه التركيبة هي التركيبة المعادية . ويلعب النظام الامبريالي العالمي ، وعلى رأسه الولايات المتحدة الاميركية الدور الاساسي فيه على الصعيد البعيد المدى ، والدور الرئيسي الان . ولكن هذا لا يعني ان القوى الاخرى قوى ثانوية ، انها جزء من العدو الرئيسي، وأدوات له . الا أن هزيمة العدو الرئيسي يعني هزيمة هذه القوى حتما . ان مواقع الاحتلال الصهيوني والرجعية العربية ، سوف تسير نحو الاضمحلال ، باضمحلال قوة الامبريالية الاميركية وانحلالها باعتبار قوتها القوة الاساسية في النظام الامبريالي العالمي . وهذا الذي حدث

في فتينام بالضبط ، وان كانت فيتنام ، لم تشهد وجود قوة استيطانية رجعية كما يشهد الوطن العربي . ولذلك فان مثل الجزائر اقرب في هـذه الحالـة . لقـد انحلت قوة المستوطنين عندما هزمت قوة فرنسا ، قوة المتربول .

مع ذلك فان علينا ان نؤكد ان وضع القوة الصهيونية ليس له مثيل ، حتى روديسيا وجنوب افريقيا. فالصهيونية تجند القسم الاساسي من قوة اليهود المادية والمعنوية في العالم . وهي تحظى بتأييد الدوائر الامبريالية عامة ، واكثرها رجعية بشكل خاص ، وبعض الاوساط « الديمقراطية » و « الاشتراكية » .

الا ان هذا الوضع الخاص ، لا يجعل وجود الكيان الصهيوني خارج ظاهرة الامبريالية ، وان كان لا يعني ان سقوطه يتم آليا بسقوطها ... ولهذا فان سقوط الامبريالية الامريكية وانحلالها ، هو الشرط الضروري لسقوط الكيان الصهيوني وانحلاله .

ومن هنا يجب ان نخوض المعركة مع هذه التركيبة المعقدة ، وان نشدد الهجوم على الامبريالية عامة ، والامبريالية الامريكية خاصة ، لان هذه هي طريق الخلاص .

كيف نخوض المعركة مع هذه التركيبة المعقدة ؟ من نهاجم اولا ؟ من العدو الاساسي ؟ ومن العدو الرئيسي ؟ هل نخوض المعركة مع اكثر من عدو في وقت واحد ؟ اسئلة بحاجة الى اجوبة ...

وقبل ان نبدأ بالاجابة لا بد لنا من بعض المقدمات .

١ ـ لقد اخطأت القوى الثورية التي حاولت ان تجزىء المعركة ، فاقترحت الصراع مع الامبريالية مرة ،

ومع الكيان الصهيوني اخرى . ومع القوى الرجعيـــة ثالثة ان المعركة لا تتجزأ . فلم يكن ممكنا خوض الصراع الحاسم مع الوجود الاستيطاني الصهيوني قبل سنة ١٩٤٨ ، بوجود القوى الامبريالية في بلادنا وجودا مباشرا او غير مباشر . كمـــا لـــم يكـــن ممكنـــا خـــوض الصـــــراع الحاســـم مع المواقع الامبريالية البريطانية والفرنسية بوجود القوى الرجعية العربية ومهادنتها ...

ولقد تأكد هذا بعد تحول الاستيطان الصهيوني الى دولة معترف بها دوليا . لقد كانت المعركة واحدة ، ومـــا زالت كذلك . والاحداث تؤكد كل يوم ان أي توجه جـــدي لمحاربة الامبريالية تتصدى له الرجعيـــة العربيـــة وقوة الاستيطان الصهيونية . كما ان اي تحرك لمواجهة الرجعية العربية تواجهه الامبريالية الاميركية والكيان الصهيوني .

ومن هنا كانت كل الشعارات التي رفعت ، مركـــزة على احد هذه الاقانيم فقط ، شعارات تعبر عن الوهـــم والعجز ، حين تكون القوى التي ترفعها من قـــوى الثورة ، من قوى العمال والفلاحـــين والشرائـــح الثوريـــة مـــن البرجوازية الصغيرة .

٢ ـــ ولقد نجحت بعض القوى الرجعية ، او الرجعية الملتحفة ببرود اليسار ، في ايهام قطاعات من جماهيرنا ان معركتنا قائمة مع الكيان الصهيوني او الامبريالية فحسب . ولقد كان تركيز القوى الرجعية منصبا على توجيه الانظار نحو الاستيطان الصهيوني اولا ، ثم الكيـــان الصهيونـــي فيما بعد . وكان ذلك ينطلق من التالي :

أ ـــ ان توجيه الانظار الى الاستيطان الصهيوني ، يلفت الانظار عن القوى الرجعية العربية ، وعن القـــوى الامبرياليـــة .

ب — ان توجيه العداء نحو الصهيونيـــة ، يستنفد طاقات الجماهير الشعبية ، في الوقت الذي لا يؤدي هذا التوجيه الى عمل فعال ، لان الوطن خاضع للامبريالية ، وواقع تحت السيطرة المباشرة للقوى الرجعية العربية .

ج — ان هذه النظره الجزئيـــة تشغل عـــن الرؤية الشاملة ، وتفرق الجماهير الشعبية والقـــوى الثورية في الجزئيات ، وتجعلها ، او تجعل قسما منها ، حليفا واقعيا للقوى التي تحمي الكيان الصهيوني .

وبسبب ذلك كله لم تخض جماهيرنا المعركة الشاملة، وكانت قواها دائما مشتتة ، وفي معظم الاحيـــان بقيـــادة القوى الرجعية ، او تحت تأثيراتها المختلفة .

ان هذا الوضع قاد الى عدم تحديد الصورة الحقيقية للمعركة ، والى الاعتماد على قوى هشة للمواجهة ، كما قاد ايضا الى عدم اعداد العدة للمواجهة الشاملة . لذلك لم يبلور برنامج سياسي ثوري على الصعيد العربي ، ولم تخلق الحالة التنظيمية الثورية القادرة ، ولا وحدت قـــوى الجماهير القومية والثورية والديمقراطية .

وكان ذلك كله من الاسباب الاساسية لبقاء الاحتلال والتبعية واستمرار التجزئة والتخلف وبقاء القوى الرجعية مسيطـــرة .

كيف نواجـــه اذن ؟

ان الانطلاق من الفرضيات السابقة يقود الى تحديد طبيعة المعركة . فهي من الناحية المبدئية معركة شاملة ، ضد هذه التركيبة جميعا ، ضد التبعية للامبريالية والتخلف والتجزئة والكيان الصهيوني والاحتلال الاجنبي . ولا خيار لنا في ذلك ، لاننا لا نستطيع ان نحالف الكيـــان الصهيوني لنحارب الرجعية العربية ، او الامبريالـــية الاميركـــية او

التخلف والتجزئة . ولا نستطيع ان نحالف القوى والانظمة الرجعية العربية لنحارب الكيان الصهيوني او الخ ... ولا نستطيع ان نحالف التخلف والتجزئة لمحاربة : الكيان الصهيوني والامبريالية ... انها حلقات متداخلة ، وان كانت الامبريالية الاميركية والنظام الامبريالي العالمي يلعبان الدور الاساسي فيها على الصعيد البعيد المدى ، والدور الرئيسي الان ، ولكن محاربة هذا العدو الاساسي على المدى البعيد ـ الرئيسي حاليا ـ تقتضي الصدام المستمر مع الكيان الصهيوني والرجعية العربية ، لانه ، وحتى الان يتجسد من خلالهما على الارض ، ويرتكز اليهما وينفذ سياسته بواسطتهما. اما اذا تدخل ، كما حصل في فياتنام ، فسيكون الموضوع اكثر خطورة ، ولكن المعركة ستبقى كما هي: التحالف الامبريالي عامة والاميركي خاصة مع الكيان الصهيوني والقوى الرجعية العربية .

وهذه المعركة الشاملة ستكون ذات طبيعة قومية ديمقراطية شعبية .

اولا : وهي قومية لانها معركة ضد الاحتلال والتبعية ومن اجل الوحدة. والتبعية والتجزئة وجهان لعملة واحدة، نقيضهما الاستقلال والوحدة ، وهما وجهان لعملة واحدة ايضا ، ومظهران لقضية واحدة . القضية القومية هنا مزدوجة : الاستقلال ، والذي يتضمن :

(١) انهاء الاحتلال للاراضي المحتلة : فلسطين وسيناء والجولان ، الاسكندرون وعربستان ، سبته ومليله وجزر الخليج العربي .

(٢) انهاء السيطرة غير المباشرة على ارض الوطن ، والمتمثلة في التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية .

واذا كانت هناك اجزاء هامة وكبيره من ارض الوطن حتلة :

فان لهذه الاراضي اهمية استراتيجية من جهة : وقع فلسطين على البحر الابيض المتوسط ، وكونها بين سيا العربية وافريقيا العربية وموقع عربستان على لخليج العربي الخ ... أما من الناحية الاقتصادية فان هنالك نفط عربستان وارضها ونخيلها ... وبهذا تزداد همية هذه الاجزاء المحتلة في حركة التحرير السياسي الاقتصادي .

أما من الناحية الاخرى فان التبعية غير المباشرة حتل مكانا اهم، وتشمل رقعة اوسع ...

وتأخذ التبعية غير المباشرة شكلين اساسيين :

الاول : الارتباط بالسياسة الامبريالية عامة الاميركية خاصة ، وهي تشمل دولا مثل : المغرب ، وريتانيا ، تونس ، السودان ، مصر ، المملكة العربية لسعودية ، الاردن ، لبنان ، الكويت ، وامارات الخليج لعربي ، عمان والجمهورية العربية اليمنية .

الثاني : اعتماد السوق المحلية على السوق العالمية ب الميادين الاساسية والثانوية : بحيث يشمل الاستيراد ل شيء تقريبا من القمح الى الدبابات ... وبحيث يعتمد لتصدير على تصدير المواد الخام، حسب حاجة الامبريالية، على ضوء السعر الفعلي الذي تحدده ، ان هناك ترابطا ين الاحتلال والتبعية . ان مواقع الاحتلال موجودة لضمان قاء التبعية ، سيان بايجاد مراكز عسكرية لحماية مواقع لامبريالية في المنطقة العربية ، او باضعاف الامة العربية شكل عام ...

أما التبعية فتضمن بقاء الاحتلال لان الاجزاء التابعة بشكل او بآخر ، لا تستطيع المساهمة في النضال لتحرير الاجزاء المحتلة . وهي فوق ذلك تساهم في محاربة حركة التحرير ، لانها تعلم ان مصادمة الاحتلال تعني العمل لتغيير الواقع كله .

ولهذا يصبح موضوع الاحتلال وموضوع التبعية واحدا ، ويصبح موضوع النضال ضد الاحتلال مرهونا بموضوع النضال ضد التبعية .

ولهذا يصبح النضال ضد الاحتلال والتبعية واحدا ، فلا يمكن ان نستطيع مباشرة النضال ضد الاحتلال بمهادنة التبعية ، ولا يمكن مهادنة الاحتلال لمحاربة التبعية ...

ولكن النضال من اجل الاستقلال القومي ، يصطدم بالتجزئة . والتجزئة هي من نتائج :

(١) الارث الاقطاعي للعهد العثماني .

(٢) وارث التبعية للامبريالية . وان كان الشق الثاني هو الرئيسي الان .

ولهذا فان النضال ضد التجزئة يصبح راهنا وملحا .. لا لان التجزئة هي نقيض الوحدة، بل لان الاستقلال القومي لا يتم بنضال مجزأ ، ولان التجزئة من قواعد التبعية .

وهكذا تتجسد القضية القومية في قضايا ثلاث :

(١) النضال ضد الاحتلال .

(٢) النضال ضد التبعية المباشرة وغير المباشرة .

(٣) النضال ضد التجزئة .

وذلك من أجل الاستقلال الوطنـــي والتحـــرر القومي الديمقراطي والوحدة العربية .

والمعركة هنا متعددة الاطراف والجوانب، وان كان العدو الاساسي ــ الرئيسي واحدا: الامبريالية عامة والامبريالية الاميركية خاصة . ولكن كون العدو الاساسي ــ الرئيسي واحدا لا يلغي هذه القائمة الطويلة من الاعداء :

١ ــ الكيـــان الصهيونـــي .
٢ ــ تركيا ــ بسبب احتلال اسكندرون .
٣ ــ ايران ــ بسبب احتلال عربستان والجـــزر ، وتهديد الخليج العربي والعراق .
٤ ــ اسبانيا : احتلال سبته ومليله .
٥ ــ القوى الرجعية العربية المرتبطة بالامبريالية ، والمعادية للوحدة ، والمحافظة على التجزئة .

ومع ان الامبريالية عامة ، والامبرياليـــة الاميركية خاصة هي العدو الاول والاكبر ، الا ان لكل عدو من هؤلاء قوته ، وخاصة الكيان الصهيوني وايران والقوى الرجعية العربيـــة .

ولهذا فستكون المعركة طويلة ومعقدة وضارية ... وعلى جبهات مختلفة ، في الوقت عينه ، لا لانـــنا اردناها كذلك ، بل لانها كذلك . وهي كذلك مبدئيا ، وان كان هذا لا يمنع بذل الجهود لتحديد القوة الاخطر في لحظة معينـــة وتوجيه الضربة اليها ، بمعزل عـــن القـــوى الاخـــرى ان امكن ... ولكننا الان لا نتحدث عن « التكتيك » .

ثانيا : وهي ديمقراطية ، لانها مطالبة بانجاز التالي :

ا ـ اسقاط الانظمة الرجعية شبه الاقطاعية ـ الكومبرادورية الفاشية ، وانهاء تسلط الطبقات او الفئات الرجعية على السلطة ، من اجل اقامة سلطة الشعب الديمقراطية القائمة على تحالف العمال والفلاحين الفقراء ، والبرجوازية الصغيرة الثورية والديمقراطية وكل الوطنيين الديمقراطيين .

ب ـ المهمات المتعلقة بتصفية بقايا الاقطاع والحياة العشائرية ومخلفات القرون الوسطى .. وهذا يستلزم تحقيق اصلاح زراعي جذري في الريف ، واسكان البوادي ، وانهاء الحياة العشائرية : الرحيل ، القضاء العشائري ، اعراف العهود الاقطاعية والعشائرية وتقاليدها ...

ج ـ المهمات المتعلقة بتصفية الكمبرادور والاحتكار البرجوازي والسيطرة الاجنبية على الاقتصاد . وبناء اقتصاد وطني مستقل ومتطور .

د ـ تحقيق الحريات الديمقراطية، بتوفير حرية الرأي والاجتماع والتظاهر ، وتكوين الاحزاب والغاء الاعتقال التعسفي وانهاء كل اشكال التعذيب ...

هـ ـ تحقيق المساواة التامة لكل المواطنين بغض النظر عن المذهب او الهوية القومية ، وتوفير المساواة التامة للاقليات القومية وضمان حقوقها والعمل على توفير الاستقلال الذاتي لها .

و ـ الغاء كل عوامل الاضطهاد الواقعة على المرأة، وتامين المساواة التامة لها ، بما في ذلك حق العمل

المتساوي الاجر، وانهاء كل اشكال استغلالها واضطهادها، وتوفير كل المساعدات اللازمة للحوامل والوالدات والمطفلات .

ان جوهر الثورة الديمقراطية يتمثل في الثورة الزراعية وحل مشكلة الارض والبداوة ، وفي انهاء سلطة بقايا الاقطاع ومخلفات القرون الوسطى والكمبرادور والبرجوازية واقامة سلطة الشعب الديمقراطية .

ولهذا فان الثورة تصطدم بالقوى المعادية كلها : بالاحتلال والتبعية والقوى الرجعية العربية ... ومن هنا تلتقي الثورة القومية بالثورة الديمقراطية .

ثالثا : وهي ثورة شعبية ، لان جماهير الشعب الكادحة كلها ستخوضها دفاعا عن مصالحها . ستخوضها الطبقة العاملة والفلاحون الفقراء وشرائح ثورية من البرجوازية الصغيرة ، ولكل الجماهير مصلحة فيها ، ما عدا الفئات الرجعية المشار اليها سابقا . ان شعبيتها ناتجة عما يلي :

أ ــ لن تستطيع البرجوازية ان تقود الثورة الديمقراطية ، لان البرجوازية مرتبطة بالاقطاع في بلادنا ، وتربطها به مصالح وصلات قربى ، والتناقضات بين بعض شرائحها وبينه ليست تناقضات جذرية .

ب ــ ولان البرجوازية ترعرعت في بلادنا في ظل العلاقة مع القوى الامبريالية ، وفي ظل هيمنتها واحتلالها . وبما ان البرجوازيات الاوروبية كانت الاقوى والاكثر تقدما ، وبرجوازيتنا متخلفة وضعيفة ظلت هامشية في النظام الامبريالي العالمي .

ج ــ ولان الثورات الاشتراكية التي حدثت في العالم، وانتصارات حركات التحرر الوطني، والحركات الديمقراطية جعل البرجوازية في البلدان المتخلفة عاجزة عن قيادة الثورة الديمقراطية البرجوازية . ولقد باتت متحالفة مع الاقطاع وبقاياه ، والامبريالية وهيمنتها ضد جماهيرها وقواها الثورية .

د ــ ولان البرجوازية الصغيرة وحدها لا تستطيع انجاز المهمات المطروحة القومية والديمقراطية ، لانها طبقة غير متماسكة أساسا ، ولان تذبذب اقسام منها، وتأرجحها بين الثورة والمساومة ، يجعل قدرتها على التصدي للمهمات الكبيرة المطروحة محدودة جدا ...

ولهذا كله فلا بد من ان يتحالف العمال والفلاحون الفقراء والشرائح الثورية من البرجوازية الصغيرة لاداء هذه المهمة ...

ان اتساع هذه القاعدة ذات المصلحة في المواجهة ، هو الذي يعطي للثورة صفة الشعبية ... انها تحشد جماهير واسعة من الشعب دفاعا عن مصالحها .

وهنا تطرح عدة اسئلة نفسها... ومن هذه الاسئلة:

١ ــ هل الثورة القومية الديمقراطية الشعبية بديل للثورة الاشتراكية ؟

٢ ــ هل هي مرحلة تاريخية كاملة ، ومتى تبدأ ومتى تنتهي ؟

٣ ــ وهل يجب الانتظار لتحقيقها كاملة على أرض الوطن كله، ليكون ممكنا الانتقال الى الاشتراكية ...

٤ ــ من يحقق هذه الثورة ، من يناضل من اجلها، ومن يقودها الآن ومستقبلا ؟...

انها اسئلة جديرة بالبحث والاجابة . ولقد قاد عدم الاجابة عليها الى سوء فهم لدى بعض الاوساط اليسارية.

ولنبدأ الاجابة :

١ ــ ان الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ليست بديلا للثورة الاشتراكية ، وهي ليست مطروحة لتكون بديلا . انها مطروحة لان هناك مهمات متعددة ، بعضها متخلفة من مراحل سابقة ، تحتاج الى الانجاز ، وتتطلب النضال من اجلها . وهذه المهمات من طبيعة قومية ديمقراطية شعبية . ولما كان الانتقال الكامل على صعيد الوطن العربي الى الاشتراكية مستحيلا الان ، لغياب امكانيات بناء السلطة في ظل الاحتلال والتجزئة والتبعية ، فان النضال من اجل انجاز مهمات الثورة القومية الديمقراطية الشعبية يصبح ضرورة ملحة .

وبهذا تصبح هذه الثورة المشار اليها عتبة التحول الى الاشتراكية ، لانها تضرب حلقات التبعية والتخلف الاساسية وتتيح المجال امام القوى الثورية للنمو ، وتسمح لعشرات الملايين من العمال والفلاحين الفقراء والشرائح الثورية من البرجوازية ان تكتسب الخبرات اللازمة للقتال والنضال وتحقيق النصر ... وفي هذا المناخ تستطيع الطبقة العاملة ان تبلور برنامجها السياسي ووحدتها التنظيمية ، وان تلعب دورا متزايدا في عملية الصراع والتحول هذه...

٢ ــ والثورة القومية الديمقراطية الشعبية ليست مرحلة كاملة ، تبدأ اليوم وتنتهي بعد عشر سنوات او

عشرين مثلا . انها عملية تحول ، مرتبطة بمدى نمو القوى الثورية الجذرية فقط، وبمدى قدرتها على احداث التحولات الاكثر جذريـــة ، وهي بذلـــك ليست مرحلـــة زمنـــية ، انهـــا مرحلة سياسية ، لا أكثر ولا أقـــل تطـــول او تقصر على ضوء قدرة القوى الثوريـــة والجذريـــة التـــي تعمل داخلها على تجاوزها ...

٣ ــ ولذلك فان عملية الانتقال الى الاشتراكيـــة لا تحتاج الى انجاز كل مهمات الثورة القوميـــة الديمقراطية . ذلك ان بعض مهماتها سوف لا تتحقق الا في ظل السلطة الاشتراكية . ذلك ان هذا التحالف يستطيع حتمـــا ان ينجز بعض المهمات الاساسية من المهمات المشار اليـــها ، ولكنه لن يستطيع حتما انجازها كلها ...

ان تحرير فياتنام الجنوبية مثلا ، احتاج الى انتقـــال الشمال الى الاشتراكية ، بينما لم يستطع حتى الانتقال الى الاشتراكية في الصين ان يحرر تيوان حتى الان ، وان كان قد خلق الظروف الملائمة لتحريرها ...

٤ ــ أما من ينجز هذه الثورة ، فان القـــوى المشار اليها آنفا هي المطالبة بالتصدي لانجازها ... وهي جميعا مطالبة بهذه المهمة . ولذلك لا بد من قيام جبهتها . ولا بد من زيادة فعاليتها التنظيمية وكفايتها النضاليـــة ... وهي بدون ذلك لا تستطيع ...

ويبقى موضوع القيادة . ان القيادة الان لها جميعا، من حيث المبدأ ، ولاكثرها شعبية وقوة من حيث الواقع . وسيظل الامر كذلك حتى تنمو الطبقة العاملـــة ، وتصبح لديها القدرة على قيادة هذا التحالف ، ومن ثم قيادة التحول نحو الاشتراكية .

ان هذه الاجابات ، توضح بعض الاشكالات التي تثار حول الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ، ولقد كان ضروريا ايضاحها، لضمان الرد على المسائلين والمتشككين.

— ٣ —

لقد تبلور وضع الرجعية العربية وموقفها . لتصبح مثل اية رجعية اخرى في العالم ، تساوم العدو علنا ، وتخون في وضح النهار . وبات مطلوبا ان يتبلور وضع الحركة الشعبية العربية وموقفها . ان استمرار الوضع ، كما هو الان ، سيقود الى المزيد من الكوارث ، لان القوى الامبريالية والرجعية تريد الوطن ان يبقى مجزأ تابعا متخلفا ، وان يزداد تفتتا وتخلفا وتبعية . ولا مجال للخلاص الا بحركة شعبية ثورية واسعة وفعالة ، قادرة على المواجهة وقادرة على قيادة عملية التحويل الثوري العظيم ...

وهذا كله لا يتم من خلال حالة الضياع القائمة ، والتي تشارك القوى الرجعية والامبريالية والصهيونية في تعقيدها ، لنبقى في شبكة التخلف والتبعية التي صنعت لنا ...

ولهذا فان علينا ان نخرج من حالة الضياع القائمة ، ان نحسم امرنا ، ان نحدد برنامجنا ، واهدافنا ، وان نعد العدة للمواجهة الحاسمة .

ان هذا يتطلب :

١ — حسم عدد من القضايا الاساسية ، أمة عربية واحدة او أمم ، حركة شعبية ثورية واحدة ام حركات عفوية

قطرية ، ثورة ام اصلاحات ، تحول ثوري ام تخلف ، وحدة ام تجزئة ، استقلال ام تبعية ، ديمقراطية ام قمع ، ونحن نرى اننا يجب ان نكون مع الحركة الشعبية الثورية الواحدة ، مع الثورة ، مع التحول الثوري ، مع الوحدة ، مع الاستقلال والديمقراطية .

٢ ـ حسم قضية اسلوب المواجهة مع الاعداء: وهي مواجهة مسلحة اساسا، لان التناقضات العدائية لا تحسم الا بالعنف الثوري ، وهذه طبيعة تناقضنا مع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية . ومن هنا فان الاسلوب هو الحرب الشعبية ، وليس سياسة التسويات والمراهنة على ميزان القوى الدولي . ان حسم هذه القضية يضعنا على عتبة عملية التحرير الحقيقية . اما بقاؤنا معتمدين على المساومات والمراهنات الحالمة ، فلا يمكن ان يقدم لنا غير الهزائم ...

٣ ـ حسم قضية الجبهة القومية المتحدة وضرورتها. ان القناعة بوجود امة واحدة ، وبحاجة هذه الامة للوحدة والتحرر والديمقراطية الشعبية ، يتطلب وحدة القوى ذات المصلحة في ذلك. وهذه القوى هي قوى الجماهير الكادحة، الطبقات والفئات الكادحة الشعبية المضطهدة والديمقراطية الثورية . وهذه الجماهير لا تتحد الا في جبهة ، ولا تجمعها حاليا الا قضية الثورة القومية الديمقراطية الشعبية . ومن هنا فنحن ، مع الجبهة ضد التشرذم وضيق الافق والحزبية الطفولية .

٤ ـ تحديد العدو وطبيعته ، لان بقاء العدو وطبيعته بلا تحديد ، يبعثر الجهود ، ويحمي العدو فعلا . ان معسكر العدو يتكون من التركيبة التي اشرنا اليها ، ولا

مجال للتفريق بينها من حيث المبدأ ، وفي هذه المرحلة، ولذلك فان تعبئة الجماهير ضد معسكر العدو ، وليس ضد طرف منه فقط قضية ضرورية وصحيحة نظريا وعمليا . وبدونها سيبقى الجهد مبعثرا ، وسيتم التركيز على جـــزء ، وليس على الكل ، وسيكون تركيزا وهميا ، لا تركيزا فعليا .

اننا نطرح هذه القضايا على كل الثوريـــين العرب ، ونحن نطالبهم بالعمل اولا ، وبالحوار ثانيا . العمل للدفاع عن الوطن والشعب ، والحوار لتحقيق المزيد من التفاهم ، ولاغناء الحركة الثورية العربية ، وتخليصها من عوامـــل الجدب وضيق الافق ...

صدر للمؤلف

١ ـ الثوري العربي المعاصر	دار الطليعة	١٩٦٠
٢ ـ الثورة والجماهير	دار الطليعة	١٩٦٢
٣ ـ في سبيل حركة عربية ثورية شاملة	دار الطليعة	١٩٦٣
٤ ـ المسيرة الى فلسطين	دار الطليعة	١٩٦٤
٥ ـ المقاومة العربية في فلسطين	مركز الابحاث	١٩٦٧
٦ ـ هدية صغيرة (شعر)	دار الكاتب العربي	١٩٦٧
٧ ـ الماركسية والمسألة اليهودية	دار الطليعة	١٩٦٩
٨ ـ الثورة الفلسطينية : أبعادها وقضاياها	دار الطليعة	١٩٧٠
٩ ـ مناقشات حول الثورة الفلسطينية	دار الطليعة	١٩٧٠
١٠ ـ النوافذ التي تفتحها القنابل (شعر)	دار الطليعة	١٩٧١
١١ ـ نحو ثورة فلسطينية جديدة	دار الطليعة	١٩٧٢

١٢ ـ حرب الشعب وحرب الشعب العربية	دار الطليعة	١٩٧٣
١٣ ـ التجربة الفياتنامية : دروسها السياسية والعسكرية	دار الطليعة	١٩٧٣
١٤ ـ الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية	مركز الابحاث	١٩٧٤
١٥ ـ حول الخط الاستراتيجي العام لحركتنا ولثورتنا	دار الطليعة	١٩٧٤
١٦ ـ حول الحركة القومية العربية	دار الطليعة	١٩٧٥
١٧ ـ خط النضال والقتال وخط التسوية والتصفية	دار الطليعة	١٩٧٦
١٨ ـ الخط العلمي الثوري والثورة القومية الديمقراطية	سلسلة الثقافة الشعبية	١٩٧٦
١٩ ـ حول الحرب الأهلية في لبنان	سلسلة الثقافة الشعبية	١٩٧٦
٢٠ ـ بعض مظاهر التجدد والالتزام في الادب العربي	الدار العربية للكتاب	١٩٧٨

فهـــرس

	ص
مقدمـــة	٥
الجبهة القومية المتحدة	٧
نحو حرب الشعب العربية	٤٥
نحو ثورة عربية جديدة	٦٩
الصراع سوف يستمر	٩٧
التسوية ايديولوجيا	١٣٥
عودة الى موضوعات الثورة العربية	١٦٥

طبع على مطابع ديوبرس

دار الكاتب - بَيروت
خندق الغميق تلفون :
٢٩٢٨٧١ — ٢٩٢٨٧٢

هـــذا الكـــتاب

يتناول هذا الكتاب عددا من القضايا الهامـــة ، التي يثور حولها الجدل عبر المسيرة الراهنة للثـــورة العربية مثل : قضية التجزئـــة والتخلـــف والتبعيـــة للامبريالية ، الجبهة القومية المتحدة ، حرب الشعب ، والتسويـــة ...

واننا نرى ضرورة التأكيد علـــى هـــذه القضايا وبلورتها ، ودحض نقائضها مثل : موضوعات دعـــاة التجزئة ، الذين يرون في الوطـــن العربـــي اوطانا واممـا ، وموضوعات الذين يعملون لتحريـــر فلسطين ضمن الواقع الرسمي العربي ، ودعاة كل وجهـــات النظر الضيقة والمتخلفة والطفولية ...